The Impact of Modern Means of Communication on the Socialization and Identity of Today's Youth a Systematic Review of the Literature

https://doi.org/10.57642/AJOPSY937

Kaouther Souissi
kaouthersouissi.psy@gmail.com
Center for Research and Studies for the Dialogue of Comparative Civilizations and Religions of Sousse, Tunisia

Donia Remili
doniaremili23@gmail.com
Faculty of Human and Social Sciences of Tunis, Tunisia

Received: 01/11/2024 Accepted: 17/12/2024 Published: 31/12/2024

Abstract

This paper aims to explore the impact of modern communication media on the processes of communication and social interaction among young people, and their role in shaping their identity and ways of expressing it. To achieve this goal, 56 studies published between 2000 and 2023, were analyzed using a systematic review methodology. The results revealed two main themes: The first highlights the positive impact of modern communication media in enhancing the self and identity, because virtual communication relies on thought and content rather than physical communication. The second theme deals with the identity risks resulting from the excessive use of modern communication media, and the overlap it creates between real and virtual identity, which leads to the transformation of real social relationships into virtual ones, causing isolation and serious psychological disorders among young people. The study concluded that the digital generation has a complex and multidimensional set of identities, where real, authentic identities coexist with virtual and fictitious identities. These identities are formed under the influence of individual and social motives, and are guided by social, economic, and political contexts that crystallize their features and direct their paths.

Keywords: modern communication media, digital generation youth, socialization, socialization, self, selfhood, real identity, virtual identity

تأثير وسائل الاتّصال الحديثة على التنشئة الاجتماعيّة وبناء الذّات والهُويّة لدى شباب اليوم: مراجعة نسقية للدّراسات السّابقة

كوثر السويسي
kaouthersouissi.psy@gmail.com
مركز البحوث والدراسات في حوار الحضارات والأديان المقارنة بسوسة، تونس

دنيا الرميلي
doniaremili23@gmail.com
كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة بتونس، تونس

الاستلام: 2024/11/01 القبول: 2024/12/17 النشر: 2024/12/31

ملخص

تهدف هذه الورقة إلى استكشاف تأثير وسائل الاتّصال الحديثة في عمليتي التّواصل والتفاعل الاجتماعي بين الشباب، ودورها في تشكيل هُويّتهم وطُرق التعبير عنها. لتحقيق هذا الهدف، تم تحليل 56 دراسة نُشرت بين عامي 2000 و2023، باستخدام منهجية المراجعة النسقيّة. أظهرت النتائج محورين رئيسيين: الأوّل، يبرز الأثر الإيجابي لوسائل الاتّصال الحديثة في تعزيز الذّات والهويّة، لأنّ التّواصل الافتراضي يعتمد على الفكر والمضمون أكثر من كونه تواصلا جسديّا. بينما يتناول المحور الثاني المخاطر الهويّاتيّة الناجمة عن الاستعمال المُفرط لوسائل التواصل الحديثة، والتداخل الذي تخلُقه بين الهوية الواقعية والهوية الافتراضيّة، مما يؤدي إلى تحويل العلاقات الاجتماعيّة الواقعية والحقيقيّة إلى علاقات افتراضيّة مُقنّعة، تسبب العُزلة واضطرابات نفسيّة خطيرة لدى الشباب. خلصت الدراسة إلى رصد ظاهرة هويّاتيّة معقّدة ومتعدّدة الأبعاد لدى الجيل الرقمي، حيث تتعايش الهُويّات الحقيقيّة الواقعيّة جنبًا إلى جنب مع الهُويّات الافتراضيّة والوهميّة. وتتشكّل هذه الهُويّات تحت تأثير دوافع فرديّة واجتماعيّة، وتوجهها السياقات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة التّي تعمل على بلورة ملامحها وتوجيه مساراتها.

الكلمات المفتاحيّة: وسائل الاتّصال الحديثة، شباب الجيل الرقمي، التنشئة الاجتماعيّة، الذّات، الهويّة الحقيقيّة، الهوية الافتراضيّة

مقدمة

تعتبر التنشئة الاجتماعيّة من العمليّات المهمّة في بناء هُويّة الشاب، إذ تمكّنه من اكتساب المهارات الاجتماعيّة والثقافيّة اللازمة للتفاعل الاجتماعي والتعرف على المعايير والقيم السائدة، والتّي هي ضروريّة للاندماج والتكيّف مع المجتمع الذي ينتمي إليه. وتُعدّ الأسرة والمدرسة من المؤسّسات الأساسيّة في هذه العمليّة، لما تقدّمه من دعم عاطفي واجتماعي. إلا أنّ الثورة الرقميّة وما أحدثته من تطوّر في وسائل الاتصال أدّت إلى ظهور آليّات جديدة وفضاءات أخرى تشارك في عمليّة التنشئة الاجتماعيّة، مثل الهاتف الذكي، والحاسوب، وشبكات التواصل الاجتماعي، التي أصبحت اليوم جزءا لا يتجزأ من حياة الشباب اليوميّة، يتهافتون عليها للتواصل والتعلّم والترفيه وتبادل الخبرات والآراء والأفكار وأيضا لتبادل القواعد والآداب العامّة والنماذج السّلوكيّة المقبولة في المجتمع.

كما أدّت الثورة الرقميّة إلى نشوء مجتمعات افتراضيّة معقدة تنافس المجتمعات التقليديّة الحقيقيّة، حيث يتمّ التّواصل فيها عبر المنصّات، والمدوّنات والمنتديات، وهي أرضيّة خصبة لتنامي نوع جديد من الهُويّات أعطت مفهوما جديدا للذات، أُطلق عليها "الهُويّة الافتراضيّة". ولئن اختلف الفضاء الذي تترعرع فيه هذه الهُويّات - من حيث هي ذات "أفلتت" من ضوابط فضاء العالم الحقيقي ومن معايير المجتمع الواقعي - فإنّها تتأثّر بالمجتمعات الافتراضيّة التّي تتشكّل وفق معايير خاصّة تُمارس على الذّات وتخضع لمراقبة وتفاعل مستمرين داخل مجتمع "المُراقبة الشاملة والمستمرة" panoptique[1] بمفهوم الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو (1975)[2]، حيث يُمارس الأفراد دور المُراقِب والمُراقَب في آن واحد، للتأكّد من مدى التزام بعضهم البعض بأنماط السّلوك المقبولة، ويمتثل كل واحد منهم آليا لضغوطاتها. هذا التفاعل الاجتماعي المعقّد عبر تكنولوجيات الاتّصال الحديثة أدّى إلى تشكيل هُويّات فرديّة متعدّدة ومتغيرة في "رُهَاب مراقبة الآخرين"، حيث تختلف آليّاتها حسب طبيعة المجتمع الافتراضي ومعاييره، وقيمه، وقواعده الخاصّة.

وعلى الرغم من أنّ هذه الوسائل لها فوائدها، فإنّها لا تخلو من السلبيّات التّي تتفاوت في حجمها حسب خصائص واحتياجات كل شاب وطبيعة المجتمع الذي يعيش فيه. وتتجلى الآثار الإيجابيّة في فتح الفرص والآفاق الواسعة للشباب للتعبير عن آرائهم وما يختلج في صدورهم. في المقابل ينجرف البعض الآخر نحو الإدمان، وسيلة للهروب من الواقع أو لإخفاء هويّاتهم الحقيقيّة، ممّا أدّى إلى ظهور أعراض نفسيّة سلبيّة، مثل القلق، والكآبة، والاغتراب، والعزلة الاجتماعيّة، وتبلّد الحسّ الوجداني. وقد تتسبّب هذه الأعراض في بعض الأحيان في مشاكل صحيّة وضغوطات نفسيّة واجتماعيّة على الشباب، ممّا يحول دون قدرتهم على بناء علاقات اجتماعيّة حقيقيّة وسليمة. وبالتالي، يجد الشباب أنفسهم في صراع داخلي بين القيم التقليديّة الموروثة والقيم الحديثة المستوردة.

مشكلة الدّراسة

أنتجت تقنيّات الاتّصال الحديثة مجتمعات افتراضيّة معقّدة، وهذه المجتمعات لها أدواتها الخاصّة في التّواصل والتفاعل والتنشئة الاجتماعيّة، حيث أتاحت للشباب سرعة التّواصل مع الآخرين دون الحاجة إلى التواجد الجسدي في نفس المكان، وأعطتهم بذلك حريّة اختيار الهويّة التّي يرغبون فيها، والتنقّل بكل أريحيّة من هُويّة إلى أخرى، أي من هويّة حقيقيّة يعرفها الجميع بسماها إلى هُويّة تنمحي فيها خصائص الحضور الفيزيائي وتفتقد فيها العناصر الظاهريّة للفرد، لها صفات خياليّة يصنعها مستعملو وسائل التّواصل الاجتماعي حسب السياق وحسب حاجاتهم النفسيّة والاجتماعيّة، تُقدّم هُويّات منتحلة بأسماء مستعارة وصور رمزيّة لا تُمكّن من معرفة الهُويّة الحقيقيّة. هذا الحلول في الفضاء الافتراضي يجعل عمليّة التنشئة الاجتماعيّة وانعكاساتها على تشكل الذّات والهُويّة محلّ بحث وسؤال.

تأثير هذه الوسائل على عمليّة التنشئة الاجتماعيّة وبناء الذّات والهويّة لدى شباب اليوم، من الموضوعات الهامة في العلوم الاجتماعيّة. ومع وجود كم هائل من الدراسات التّي استكشفت هذه الظاهرة، يتطلب الأمر مراجعة منهجيّة لهذه الدراسات للوقوف على أهم النتائج التّي وصلت إليها.

ومن هنا جاءت فكرة هذه الدراسة، لتقديم ملخّص عام عن الدراسات السابقة التّي اهتمّت بتأثير وسائل الاتّصال الحديثة على حياة الشباب الاجتماعيّة والنفسيّة والهوياتيّة، وذلك باستخدام منهجيّة المراجعة النسقية (Méta-synthèse).

وفي ضوء ما تقدّم يُمكن طرح سؤال رئيسيّ: كيف يعيش، يتواصل، ويتفاعل الشباب عبر وسائل الاتّصال الحديثة وداخل المجتمع الافتراضي؟ وما هو تأثير هذا التّواصل والتفاعل على تشكل الذّات والهويّة لديهم؟

وتنبثق عن الإشكاليّة الرئيسيّة مجموعة من الأسئلة الفرعيّة من بينها:

- ما نوع استخدامات شباب اليوم لوسائل الاتّصال الحديثة؟
- ما هيّ الآليّات النفسيّة والاجتماعيّة التّي تخضع لها عمليّة استخدام هذه الوسائل؟

---

[1] بنوبتيك:panoptique بالفرنسية، وبالإنجليزية Panopticon هو بناء يمكن اشتمال داخله بنظرة واحدة، أي يسمح بالمراقبة الشاملة والمستمرة للأفراد. وهو بناء لمبنى سجن تخيله وقام بتصميمه جيرمي بينثام في نهاية القرن الثامن عشر، ولم يُنفّذ بشكله الأصلي في الواقع. وفي البنوبتيك يستطيع حارس واحدا أن يراقب عدداً كبيراً من السجناء دون أن يتمكّنوا من مشاهدته. ويُعتقد أن الشرق، قبل الإسلام وأثناءه، عرف هذا النوع من الأبنية، خاصّة في المساجد حيث كان الخطيب يُطلّ على كلّ من في الجامع.

[2] جاء هذا المفهوم في كتابه "المراقبة والعقاب، ولادة السجن" نشر في فرنسا عام 1975 تحت عنوان Surveiller et punir: Naissance de la prison، وترجم إلى الإنجليزية عام 1977. وهو تحليل للآليات الاجتماعية والنظرية التي كانت وراء الاختلاف الكبير بين نظم العقاب في السجون.

- كيف أثّر استخدام وسائل الاتّصال الحديثة على التنشئة الاجتماعيّة لشباب اليوم؟
- كيف تتشكّل الذّات والهويّة عبر شبكات التّواصل الاجتماعي؟
- ما هو تأثير هذه الشبكات على الهُويّة الطبيعيّة والهويّة الافتراضيّة؟
- ما مُستقبل الهُويّات (الفرديّة، الاجتماعيّة، الثقافيّة، الدينيّة) في زمن وسائل الاتّصال الحديثة؟

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة الحاليّة إلى:
- معرفة واقع استخدامات شباب اليوم لوسائل الاتّصال الحديثة؛
- فهم دوافع استخدامات الشباب لوسائل الاتّصال الحديثة وتجلّي آليّاتها النفسيّة والاجتماعيّة؛
- معرفة مدى تأثير استخدامات وسائل الاتّصال الحديثة على التنشئة الاجتماعيّة وانعكاساتها الإيجابيّة والسلبيّة على بناء الذّات والهُويّة لدى الشباب؛
- رصد محتوى وشكل الهُويّات التّي يصنعُها الواقع الافتراضي ومواقع التّواصل الاجتماعي على وجه الخصوص.

ستقُودنا هذه الأهداف إلى استخلاص استنتاجات أدقّ وأشمل حول تأثير وسائل الاتّصال الحديثة على تنشئة شباب اليوم وعلى تطوّر ذاته وهويّته الاجتماعيّة لتحسين الفهم العام لهذه الظاهرة المعقّدة.

مصطلحات الدراسة

لتقديم مراجعة منهجية دقيقة، من الضروري توضيح المصطلحات الأساسية المستخدمة في هذه الدراسة.

التأثير الاجتماعي

التأثير الاجتماعي من الموضوعات المركزيّة في علم النفس الاجتماعي، إذ بيّنت جلّ الدراسات أن التأثير يحدُث حين يكون الفرد في علاقة تفاعليّة مع الآخر أو مع المجتمع ككل. وتحدُث هذه العمليّة عندما يتمّ تعديل مواقف الفرد أو معتقداته أو سلوكه خلال تفاعل الفرد مع أحد ما، وغالبا ما تكون دوافع هذا التفاعل نفسيّة واجتماعيّة. ويأخذ التأثير الاجتماعي أشكالا عديدة مثل؛ التنشئة الاجتماعيّة، والتوافق الاجتماعي، والطاعة، وضغط الأقران والتطبيع والتأثير المعياري.

وتُؤكّد جلّ الأبحاث الدور الذي تلعبه وسائل الاتّصال الحديثة في تشكيل مواقف الشباب ومعتقداتهم وسلوكهم، وكيف يمكن أن تؤدي إلى ظواهر مثل التوافق الاجتماعي، حين يشعر الشاب بضرورة تقليد سلوك الأغلبية من أقرانه على الإنترنت لتجنب العزلة أو الانتقادات، أو مثل الطاعة والامتثال للسلطة التي تتجلّى في الثقة العمياء التي يُوليها الشاب للمؤثّرين والمشاهير على وسائل التّواصل الاجتماعي.

فما هي وسائل الاتّصال الحديثة؟ وكيف تطوّرت لتصل إلى درجة مُؤثّرة جدّا على الشّباب؟

وسائل الاتّصال الحديثة

"وسائل الاتّصال الحديثة" هو مصطلح جديد يُستخدم عادة بصيغة الجمع ليشير إلى "مجموعة من الأدوات والأجهزة والآلات: مثل الوسائط المتعدّدة أو الملتيميديا (multimedia)، والشبكات الرقميّة والبرمجيّات وغيرها، التّي تسمح بنقل البيانات وتبادل المعلومات والرسائل وغيرها من المحتويات المكتوبة والمرئيّة والصوتيّة بين الأشخاص بشكل سريع" (Souissi, 2016, pp.34-35). بعبارة أخرى، هي وسائل الاتّصال التّي تستخدم التكنولوجيا الحديثة. ويشير معجم المفاهيم الحديثة للإعلام والاتّصال إلى أن تكنولوجيا الاتّصال الحديثة هي كل أداة أو جهاز أو وسيلة تساعد على إنتاج أو توزيع أو تخزين أو استقبال أو عرض البيانات، يعني كل الآلات والأجهزة والوسائل الخاصة التي تساعد على إنتاج المعلومات وتوزيعها واسترجاعها وعرضها، مثل الحواسيب وأجهزة الاتّصال عن بعد، بعناصرها من الفاكس والتليتكس والفيديوتكس وشبكات المعلومات ومراصد المعلومات، وشبكات الأنترنت والمناظرات عن بعد باستخدام القمر الصناعي والبريد الإلكتروني وغيرها من وسائل الاتّصال (العبد الله و شني، 2014، صص. 114-115).

ويلخص تانجي أهمّ وسائل الاتّصال الحديثة المتداولة بين الشباب (Tangi, 2024):

- **أدوات الاتّصال** (Communication Tools): البريد الإلكتروني، والهاتف الذكيّ وما يحتويه من تطبيقات تمكّن من تصفّح شبكة الإنترنت والتّواصل عن بعد، مثل تطبيقات المراسلة الفوريّة (Instant Message IM): "واتساب"، "سكايب"، "تلغرام"، و"فايبر"، وتطبيقات المكالمات الصوتيّة (Voice Calling) التي توصِل نبرة الصوت وحدّته، وتصل من خلالها المشاعر والعواطف بشكل أفضل، وتطبيقات المكالمات المرئيّة (Video Chat) التي تُتيح قراءة تعبير الوجه ولغة الجسد أثناء المحادثة، وتطبيقات الرسائل النصيّة القصيرة (SMS Text).
- **الشبكات الاجتماعيّة** (Social Networks): منصّات التواصل الاجتماعي مثل "فيسبوك "Facebook و"تويتر"Twitter، و"لينكدإن" Linkedin و"بينترست "Pinterest، و"انستغرام "Instagram و"سناب شات" Snapchat، حيث تمكّن المستخدمين مشاركة الصّور، ومقاطع الفيديوهات، وتبادل الخبرات، وإنشاء مشاريع وتصاميم فنيّة، وأيضا التفاعل مع بعضهم البعض من خلال التعليقات والرسائل النصيّة.

- **قنوات التواصل** (Communications Channels): المدوّنات والمنتديات ومجتمعات الإنترنت (Blogging)، والندوات، والفيديوهات. وهي قنوات فردية وجماعيّة توفّر العديد من الفرص للتّواصل وتبادل الأفكار والمعارف حول مواضيع محدّدة، وأيضا للتأثير. من أهم ميزاتها أنّ أغلبها يحتوي على قسم خاص بتعليقات الزوّار ممّا يُمكّن صاحب المنشور من التفاعل مع الأشخاص الذين يُشاركونه اهتماماته.

- **الواقع الافتراضي** (Virtual Reality): وهو من وسائل الاتّصال قليلة الاستخدام في الوقت الحالي.

التنشئة الاجتماعيّة

يعتبر مفهوم التنشئة الاجتماعيّة من المفاهيم المهمّة في العلوم الاجتماعيّة خاصّة علم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا. ويرى الكثيرون أنّه من الصعب تحديد تعريف دقيق وجامع لعملية التنشئة الاجتماعية التّي تتّسم بالنسبيّة والتغيّر عبر الزمان والمكان (علي مؤمن، 2011) حيث تمّت " دراسة هذه العملية في البداية في مرحلة الطفولة، ومكّنت بعد ذلك من فهم عمليّة نقل واكتساب الرموز والقواعد الاجتماعية السائدة لدى الشباب" (Bordes, 2013, p.29) وتختلف وجهات النظر حول مفهوم التنشئة؛ هل هيّ اجتماعيّة أم ثقافيّة؟ ولكن غالبا تحمل نفس المعنى.

ويُعرّف معجم "مصطلحات العلوم الاجتماعية" التنشئة الاجتماعية بأنّها "العملية التي يتمّ بها انتقال الثقافة من جيل إلى آخر والطريقة التي يتمّ بها تشكيل الأفراد منذ طفولتهم حتى يُمكنهم العيش في مجتمع ذي ثقافة معينة، ويدخل في ذلك الآباء والمدرسة والمجتمع" (بدوي، 1982، ص. 130). وعرّفها قاموس علم الاجتماع بأنّها: عمليّة تحويل الفرد من كائن غير اجتماعي إلى كائن اجتماعي، حيث يكتسب خلالها أنماط التفكير والمشاعر والسلوك، التي من أهم نتائجها تثبيت المهارات السلوكية المكتسبة، وترسيخ القيم والمعايير الاجتماعية السائدة في شخصية الفرد. وبمرور الزمن، تصبح هذه القيم والمعايير جزءا لا يتجزأ من شخصيّته وتظهر وكأنّها طبيعيّة فيه، مما يعزّز التماسك الاجتماعي بين أفراد الجماعة الاجتماعيّة (Boudon et al., 2001, p.217) ويُفضي هذا المفهوم أحيانا إلى معنى دمج ثقافة المجتمع في الفرد.

وتُعرّفها مارغريت ميد، عالمة الأنثروبولوجيا الثقافية، بأنّها "العمليّة الثقافيّة والطريقة التي يتحوّل بها كلّ طفل حديث الولادة إلى عُضو كامل في مجتمع بشريّ معيّن" (الساعاتي، 1983، نقلا عن بن باخة و عدواس، 2021، ص. 32) . أمّا مُعجم علم النفس والطب النفسي، فإنّه يُعرّفها بأنّها "العمليّة التّي يكتسب الفرد من خلالها المعرفة والمهارات الاجتماعيّة التّي تُمكّنه من أن يتكامل مع المجتمع ويسلُك سلوكا تكيُّفيّا فيه" (عبد الحميد و كفافي، 1995، ص. 360). ويُعرّفها علم النفس الاجتماعي بأنها "العمليّة التي يتعلّم من خلالها الفرد كيف يتكيّف مع الجماعة عند اكتسابه السلوك الاجتماعي المتّفق عليه" (السيّد، 1975، ص. 218 نقلا عن بن باخة و عدواس، 2021، ص. 33).

ويُعدُّ إيميل دوركهايم (Emile Durkheim) أوّل من استخدم مفهوم التنشئة الاجتماعيّة بالمعنى التربوي، وأوّل من صاغ الملامح العلميّة لنظريّة التنشئة الاجتماعيّة، حيث أعطى الأوليّة القصوى للدور الذي تلعبه مؤسّستي الأسرة والمدرسة في تنشئة الطفل. وكان دوركهايم يؤكّد في كتابه "التربية الأخلاقيّة" (1963) على أهميّة التربية وتلقين قيم المجتمع في مرحلة الطفولة الثانية قائلا: يوجد في كل واحد منّا، بنسب متفاوتة، رجل الأمس، تحدّد أفكاره وتجاربه الماضية رجل اليوم الذي يتطلّع إلى المستقبل (...)، فالإنسان الذي تريد التربية أن تصنعه فينا ليس هو الإنسان على غرار ما أودعته الطبيعة، بل الإنسان على غرار ما يريده المجتمع (الحديد، 2016، نقلا عن الهاشمي وآخرون، 2020، ص. 58).

ويذهب تلكوت بارسونز[3] (1955) إلى توسيع مفهوم التنشئة الاجتماعيّة، ويراها شكلا من أشكال البرمجة الفرديّة تمكّن من إعادة إنتاج النظام الاجتماعي. فهي عملية تعلّم تعتمد على التلقين والمحاكاة والتماهي مع الأنماط العقليّة والعاطفيّة والأخلاقيّة عند الطفل والراشد، تهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصيّة، تبدأ من تاريخ الميلاد داخل الأسرة وتستمرّ في المدرسة وتتأثر بجماعات الأقران في اللعب وفي العمل، ومن ثم تستمر باتساع دائرة التفاعل كلما كبر الفرد، مؤكدا بذلك على أنّ التنشئة الاجتماعيّة لا يقتصر تأثيرها على الطفل بل يمتد ليشمل سن الرشد، ولا تعتمد على صيغة الأمر، فالإنسان يمتصّ أنماط السلوك التي يتقبّلها شعوريّا ولا شعوريّا (رشوان، 2012، ص. 18، نقلا عن الهاشمي وآخرون، 2020، ص. 58).

ويقدّم بيتر بيرغر[4] وتوماس لوكمان[5] تفسيرا معمّقا لعمليّة التنشئة الاجتماعيّة، حيث يعتقد الباحثان أن التنشئة الاجتماعيّة لا يُمكن أن تكتمل في مرحلة الطفولة (socialisation primaire)، إذ يجد الفرد نفسه حين يكبر، في مؤسّسات أخرى مثل؛ الجامعة والعمل والجمعيّات، تتطلب منه اكتساب مهارات جديدة في محيط العمل. وبهذا، يتطوّر اجتماعيّا وتتشكل هويّته الاجتماعيّة الجديدة، مع الاحتفاظ بخصائصها الأساسيّة التّي اكتسبها خلال التنشئة الأولى. فالتنشئة الاجتماعيّة الثانويّة (socialisation secondaire) التي تأتي بعد مرحلة الطفولة، هي عمليّة تشكل الذّات واكتساب مهارات جديدة في مراحل لاحقة من العمر بهدف تلبية الاحتياجات النفسيّة والاجتماعيّة المختلفة وتعزيز القيم والمعتقدات وتعديلها وفقا للسياق الذي يجد الفرد فيه نفسه (Berger & Luckmann, 2018).

[3] تلكوتبارسونز Talcott Parsons: عالم اجتماع أمريكي (1902-1979).
[4] بيتر بيرغر Peter Berger: عالم اجتماع وعالم دين أمريكي (1929-2017).
[5] توماس لوكمان Thomas Luckmann: عالم اجتماع ألماني (1927-2016).

وعلى الرغم من تنوع التعريفات، فإنّها تتّفق في جوهرها حول هدف التنشئة الاجتماعيّة الذي يتمثّل في تحويل الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، فهي عمليّة تعلّم وتعليم يشارك فيها كل من الفرد والأسرة والمدرسة، والمجتمع، تبدأ منذ اللّحظات الأولى من الحياة إلى مرحلة متقدمة من العمر، " يكتسب فيها المهارات والخصائص الثقافيّة للمجتمع الذي يعيش فيه، ممثّلة في القيم والاتجاهات والأعراف السائدة وأنماط السّلوك المرغوبة" (درويش، 1999، ص. 68) بهدف تأهيله وتمكينه لأداء دور الراشد الناضج والمسؤول في مجتمعه. ومع ذلك، يُركز معظم هذه التعريفات على تنشئة الفرد في مؤسّسات محدّدة مثل الأسرة والمدرسة والجامعة والمجتمع، دون التطرق إلى تأثير المؤسّسات الأخرى وأدواتها على تنشئته، وهي نقطة ضعف لأنّها تُهمل المجتمع الافتراضي ووسائل الاتّصال الحديثة التي قد تفوق تأثيراتها في الشباب تأثيرات الأسرة في مرحلة التنشئة الأولى.

ومن هنا تأتي أهميّة مراجعة الدراسات التّي سلّطت الضوء على تأثير وسائل التواصل الحديثة في تنشئة الشباب وتشكيل هويّتهم وتكييفهم مع محيطهم الاجتماعي، وهي دراسات يُمكن أنْ تُساهم في تطوير استراتيجيّات تربويّة وتثقيفيّة تساعد الشباب على استخدام وسائل التواصل الحديثة بطريقة صحيحة وفعّالة.

الذات والهُويّة

تناولت الدراسات الاجتماعيّة مفهوم "الهويّة" بطرق مختلفة، إذ ارتبط في التحليل النفسي (Freud, 1926) بمفهوم الأنا، وهو جزء من الذّات يعمل كوسيط بين الرغبات الداخليّة للفرد ومتطلبات العالم الخارجي، الذي يحكمه مبدأ الواقع. وفي علم النفس الاجتماعي، تناول جورج هربرت ميد (1934) [6] الهويّة كنتاج للتفاعلات الاجتماعيّة مع الآخرين. واهتم إريكسون[7] (1950) بدراسة الهويّة وأزماتها في مراحل النمو النفسي-الاجتماعي للإنسان التّي تبدأ من مرحلة الطفولة المبكّرة وتستمرّ حتى فترة البلوغ وما بعدها. فالهويّة بالنسبة إليه، هي مجموعة من السّمات والخصائص التّي تُميّز الفرد عن الآخرين، والتي تنتج عن كيفيّة تفاعل الفرد مع بيئته والتحدّيات النفسيّة والاجتماعيّة التّي يُواجهها. ولكن يُمكن أن تواجه الفرد في مسارات نموّه أزمات في فهم هويّته وتأكيدها، وهي فترة من التردد والتشكيك في الذّات، وفي معرفة ما إذا كان قادرا على تحديد هويّته الحقيقيّة وقبولها.

وقام جيمس مارسيا[8] (1960) في منتصف الستّينات بتطوير مفهوم إركسون للهويّة، وذلك بالتركيز أكثر على أزمة الهُويّة في مرحلة المراهقة وتفصيلها بشكل أدقّ، وهو يرى أن هناك أربعة أشكال من الهُويّة، تنشأ في فترات ذروة نموّ الشخصية، وهي: تشتّت الهويّة (الفرد غير الملتزم وغير المنظّم والمُماطل الذي يتجنّب المشكلات والأفعال)، وإعاقة الهويّة أو الانغلاق (عدم القدرة على الاستكشاف، والاستمرار في الالتزام بقيم وأدوار الوالدين أو الأعراف الثقافيّة)، توقّف الهويّة أو التأجيل المُسبق (فترة الاستكشاف)، وتحقّق واكتمال نمو الهُويّة (حل مشكلات الهويّة عن طريق الالتزام بالأهداف والمُعتقدات والقيم بعد اكتشاف مكثّف لمجالات مختلفة) (عبد المعطي و قناوي، 2001، صص. 298-299). ويرى جيمس مارسيا أنّ الهُويّة بناء داخلي يُشيّد من طرف الشخص ذاته، تُشكّله مجموع المعتقدات والقدرات والدوافع، وتاريخ الفرد. وكُلّما كان هذا البناء متينا، كان الفرد أكثر وعيا بأوجُه التفرّد والتشابه مع الآخرين، في حين كلّما كان هذا البناء ضعيف التشييد، كان الفرد مشوّشا بخصوص ما يميّزه عن الآخرين، وصار أكثر اعتمادا على مصادر خارجيّة لتقييم ذاته واكتشافها، فالهويّة بناء ديناميكي وغير ثابت يتغيّر كل حين في مراحل الحياة المختلفة، تضاف لها عناصر جديدة وتُزال أخرى، لأنّ الإنسان دائم البحث والاكتشاف.

ومفهوم إركسون ومارسيا للهويّة هو خلاصة لعدّة تيّارات فكريّة سابقة؛ منها ما جاء في علم نفس النمو (Piaget, 1964) [9]، ومنها ما جاء في التحليل النفسي (Freud, 1926) والفلسفة (Voltaire, 1934, 1964) والأنثروبولوجيا[10](Mead, 1934; Taylor, 1871) التّي أكّدت كلّها على تأثير المحيط الأُسري وثقافة المجتمع ومراحل الحياة المختلفة في تشكيل الهويّة الفرديّة والاجتماعيّة.

هذا يعني أنّه منذ البداية، تمّ تصوّر الهُويّة على أنّها نِتاج تفاعُلات معقّدة يطوّر فيها الفرد تمثّلات واضحة وفريدة عن نفسه وانتمائه وعلاقته بالآخر، من خلال صنفين من التمثّلات: تمثّلات الجماعة الداخليّة وتمثّلات الجماعة الخارجيّة،

---

[6] George Herbert Mead عالم اجتماع، وعالم نفس اجتماعي وفيلسوف أمريكي (1863- 1931) يعتبر كتابه "الذهن، الذات، والمجتمع" (Mind, Self, and Society) 1934 من بين أبرز أعماله التي تناولت مفهوم الهويّة.

[7] Eric Homburger Erikson (1902-1994) محلل نفسي وعالم نفس النموّ ومؤسّس نظرية النموّ النفسي-الاجتماعي. قدّم في كتابه "الطفولة والمجتمع" (1950)، مفهوم "أزمة الهويّة" كجزء من نظريّته، وهي المرحلة التي يواجه فيها الفرد تحدّيات في تحديد هويّته الفرديّة والاجتماعيّة، وذلك في سياق المراحل العمريّة الثمانية التي وصفها مثل؛ مرحلة الثقة مقابل الشكّ، ...، وغيرها.

[8] جيمس مارسيا James Marcia (1937) عالم نفس إكلينيكي وعالم نفس النموّ، يمارس نشاطه إلى اليوم في العلاج الإكلينيكي والبحث والتدريس.

[9] قدم بياجي نظريّة مراحل تطور الهوية عبر سلسلة من المراحل العقليّة التي يمر بها الأطفال خلال نموهم العقلي. ويعتمد هذا التطور على تجارب الطفل وتفاعلاته مع البيئة والعوامل الاجتماعية والثقافية من حوله. وتطرق بياجي إلى هذه المفاهيم في أعماله المختلفة مثل "التفكير واللغة" و"معالجة المعرفة" وغيرها من الأعمال.

[10] أوائل علماء الأنثروبولوجيا الذين تحدثوا عن مفهوم الهوية مارغريت ميد، والتي نُشر كتابها "مقدّمة لدراسة المجتمع" (Introduction to the Study of Society) عام 1934، حيث تناولت فيه موضوع الهويّة الاجتماعيّة وتأثير العوامل الثقافيّة والاجتماعيّة في تشكيلها. كما يُعتبر إدوارد تايلور أحد العلماء البارزين في مجال الأنثروبولوجيا الذين اهتموا بالهويّة. في كتابه "الثقافة البدائية" (Primitive Culture) الذي نُشر عام 1871، استكشف العادات والتقاليد للشعوب الأصلية وكيفيّة تأثيرها في بناء الهويّة الجماعيّة والفرديّة.

إذ تتشكّل الأولى من السّمات الخاصّة بالفرد والتّي من شأنها أن تميّزه عن الآخرين، وهي الذّات، ومن السّمات والصّفات الثّقافيّة المشتركة مع أعضاء الجماعة الداخليّة (endogroupe) والتّي من شأنها أن تشير إلى عُضويّة الفرد في جماعة الانتماء، أمّا تمثلات الجماعة الخارجيّة فإنّها تتكوّن من السّمات والصّفات الثّقافيّة لجماعة غير الانتماء (exogroupe) والأحكام الصادرة تجاههم قصد الحفاظ على صورة إيجابيّة لجماعة الانتماء (السويسي، 2016، ص. 52). إلا أنّه في زمن مواقع التّواصل الاجتماعي، تناول الهُويّة من خلال ثقافة جماعة الانتماء، أي اللغة والدين والتقاليد لم يعد كافيا للوصول إلى التوصيف الدقيق، حيث أنّ الانتشار الواسع لمواقع التّواصل الاجتماعي (وأشهرها فيسبوك وتويتر) أدّى إلى إزالة الحدود وفكّ الحواجز بين الشعوب والثّقافات، وكان له الأثر البالغ في تشكّل ذوات وهويّات جديدة وطرق متطوّرة في التعبير عنهما.

ويشير مفهوم الذّات إلى وعي الفرد وطريقة إحساسه بنفسه وإدراكه لها، فهي الصورة التّي يرى الفرد بها نفسه. وهذه الصورة، كما أشار إلى ذلك جورج هربرت ميد (George Herbert Mead) لا تولد مع الفرد، بل تتطوّر وتتشكل بواسطة التفاعل مع الآخرين والبيئة الاجتماعيّة، وهي تنظيم عقلي معرفي يتألّف من عدّة عناصر مثل القدرات، والمشاعر، والتمثّلات، والمعتقدات والقيم التّي تتعلّق بالسمات المميّزة للفرد وعلاقاته المتعدّدة، والتّي يكوّنها عبر تجاربه الخاصّة وتفاعلاته مع الآخرين. وتتّسم الذّات بقابليتها للتعديل نتيجة النضج والتعلّم وبإمكانيّة استيعابها قيم الآخرين (عبد المعطي و قناوي، 2001). كما بيّن كارل روجرز[11] أنّ الذّات نوعين: ذات حقيقيّة أو واقعيّة التّي تمثّل الصورة الفعليّة للفرد كما هو في الواقع بكل الخصائص والمشاعر التّي يعترف بها، وكذلك ذات مثاليّة التّي يطمح إليها الفرد ويرغب في أن يكون عليها. ويؤكّد كولي[12] نفس الفكرة، مُبيّنا أنّ الفرد يتمثّل ذاته من خلال نظرة الآخرين وتقييمهم له، فالآخر هو "المرآة الأخرى" التّي تعكس لنا صورة الذّات.

الهُويّة الاجتماعيّة

يرى هنري تاجفال[13] (Tajfel, 1982) عالم النفس الاجتماعي البولندي أنّ الهُويّة الاجتماعيّة يُمكن اعتبارها أداة تصنيف المجتمع إلى فئات وذلك حسب الأدوار، والوظائف والانتماءات الاجتماعيّة المختلفة، كالانتماء السّياسي أو الديني أو اللغوي، وحتى الانتماءات الجغرافية: المدينة في مقابل الريف. وحسب تاجفل، فإنّ هذا التصنيف قد يؤدّي إلى ما يسمى بالمحاباة أو التحيّز لأفراد الجماعة، من خلال شعور (ال"نحن" مقابل ال"هم"). ويرى أنّ مفهوم الشخص لذاته ينبثق من تصنيفه في مجموعات، إذ ليس للإنسان هويّة واحدة بل هويّات وتمثلات متعدّدة بتعدّد الجماعات الاجتماعيّة التّي ينتمي إليها (السويسي، 2016)، وبالتالي فهو سيتصرّف بشكل مختلف في كل جماعة ينتمي إليها بناء على ما تتطلّبه هذه الجماعة. وهذا المفهوم بالذّات ينطبق تماما على الهُويّة المُبحرة عبر شبكات التّواصل الاجتماعي، أو ما يطلق عليها عدد من الباحثين ب "الهُويّة الافتراضيّة".

الهُويّة الافتراضيّة

يعرّف علماء الاجتماع "الهُويّة الافتراضيّة" على أنّها الهويّة التّي أنتجتها المجتمعات الافتراضيّة، تلك المجتمعات المتفاعلة عن طريق تكنولوجيا التواصل الحديثة، مثل أجهزة الهواتف الذكيّة، والحواسيب الإلكترونيّة وغيرها. ويتمّ هذا التفاعل داخل بيئة تكنولوجيّة ديناميكيّة بهدف التعارف وتبادل المعلومات والاستشارات والنصائح.

وقد وردت العديد من التعريفات لمصطلح "المجتمع الافتراضي"، وراينغولد (Rheingold) هو أول من استعمل هذا المصطلح في كتابه "الجماعات الافتراضية" سنة 1993، ويعرّفها بأنّها "تجمّعات اجتماعيّة - ثقافيّة تنشأ عبر الشبكات المعلوماتيّة، وتضمّ عددًا كافيًا من الأفراد، وهؤلاء الأفراد يشاركون في حوارات لبعض الوقت ويساهمون بذلك في خلق شبكة من العلاقات الإنسانيّة على مستوى فضاء الويب" (نقلا عن حسني، 2019) لتحقيق غاية أو هدف أو هواية، من خلال علاقة اجتماعية-افتراضية تحددها منظومة تكنو- اجتماعية. ويذهب كلّ من لي وآخرون إلى تقديم تعريف عملي للمجتمع الافتراضي، فهو "فضاء إلكتروني مدعوم بتكنولوجيا المعلومات القائمة على الحاسوب، يتيح التواصل والتفاعل بين المشاركين لإنشاء وإدارة ومشاركة المحتوى، مما يؤدي في النهاية إلى بناء علاقات اجتماعية بينهم" (Lee et al., 2003, p.57)، فهي تلك التجمعات الاجتماعية اللاّمكانيّة التي تشمل أفرادا ينتمون إلى هويّات وجنسيّات مختلفة تجمعهم اهتمامات مشتركة، ولهم آليات تواصل متعدّدة.

والهُويّة الافتراضيّة هي تلك الهويّة التّي يصنعها المستخدم في المجتمع الافتراضي لتصبح بديله الذي يُقدّم بها نفسه للآخرين ويتفاعل معهم من خِلالها في المجتمع الافتراضي وتُكسبه خصائص تميّزه عن غيره في عالم الحياة الحقيقيّة. فمن خلال إنشاء هويّة على فيسبوك، يُمكننا إنشاء هويّة تميّزنا، قد تشبهنا في بعض الجوانب ولكنها ليست بالضرورة نسخة طِبْق الأصل منّا، وهذه الهويّة المنفصلة تندمج في العالم الافتراضي وتتفاعل مع الآخرين فيه. وتُعزّز هذه الهويّة الافتراضيّة الجانب المقبول والمُقنع من الذّات (Mucheilli, 2021) حيث " يركّز الأفراد على تقديم صورة لهم مقبولة

[11] Carl Rogers (1902-1987) عالم نفس أمريكي وأحد مؤسسي التوجه الإنساني في علم النفس.
[12] Charles Cooley عالم اجتماع أمريكي (1864-1929).
[13] Henri Tajfel (HerszMordche Tajfel) سابقا (1919-1982) اشتهر بأعماله الرائدة حول التحيز والهوية الاجتماعية.

ومرغوبة في العالم الافتراضي" (شرماط، 2023). وتتبنّى الهويّة الافتراضيّة قواعد وقوانين وتوجيهات الشبكات الاجتماعيّة، وتسعى إلى الالتزام بها والاندماج داخلها، بهدف تحقيق قبول وشعبيّة أكبر. وهذا الانضباط والامتثال لقوانين الشبكات الاجتماعيّة وقواعدها يُشبه طريقة امتثال السجين لأوامر سجّانه حتى يتجنّب عقابه.

من هنا نفهم أنّ مفهوم الذّات يُمثّل الأساس أو القاعدة التّي تُبنى عليها الهُويّة. والهُويّة هي ذلك الوِعاء الكبير الذي يتّسع لكلّ الذّوات بأبعادها المتعدّدة، مثل الهُويّة الفرديّة، والهويّة الافتراضية، والتمثّلات الفرديّة، والصورة الذّاتيّة، والوعي الذّاتي، والمشاعر والانطباعات الفرديّة عن النفس. وبما أنّ الذّات تتكوّن من الأفكار والمشاعر والمعتقدات التّي يتمثّل بها الفرد نفسه، فإنّ هذا التمثّل تتحكّم فيه السياقات التّي أفرزته، مثل الثقافة والعِرق، والجنس، وتجارب الحياة، والحالة النفسيّة، والتمثّلات الاجتماعيّة، إذ قد يتغيّر تمثل الفرد لذاته إذا تغيّرت تجاربه وحالته الانفعاليّة، أو إذا تغيّرت تمثّلاته لانتمائه الاجتماعي وكذلك أدواته في التّواصل والتفاعل مع محيطه.

في المجتمع الافتراضي، ومع توافر الخصائص التكنولوجيّة الرقميّة، يُمكن للأفراد أنْ يروا الآخرين كمرايا تعكس صورهم الذّاتيّة، وبناءً على هذه التفاعلات، يبدؤون في تطوير وتشكيل هويّاتهم الفرديّة والاجتماعيّة. ومع ذلك، تظل المجتمعات الافتراضيّة غير قادرة على أنْ تكون بديلًا كاملًا للمجتمعات الحقيقيّة، لأنّها تعتمد على نماذج أخرى من التّواصل الاجتماعي، وتقوم على ثقافة آنيّة جزئيّة ومؤقتة لا تسمح بتشكيل هويّة قويّة وثابتة. وهذا التقاطع بين المجتمع الافتراضي والذّات والهويّة يُمكن أن يؤدّي إلى أزمة الهويّة التّي أشار إليها جيمس مارسيا (1960)، ويجد الأفراد أنفسهم في حالة من التردّد والتشكيك في الذّات. وحينما يكون بناء الهُويّة ضعيفًا، ينعكس ذلك على الفرد بشكل ملحوظ، فيجد نفسه مشوشًا ومرتبكًا بشأن ما يميزه عن الآخرين، ممّا يجعله يعتمد بشكل أكبر على مصادر خارجيّة لتقييم ذاته. وبما أنّ هذه المصادر غير ثابتة ودائمة التغيير، سيكون تطوّر الذّات متقطّعا ومضطربا.

كما أنّ المجتمعات الافتراضيّة هي مجتمعات تصنعها عقول البشر وتفاعلاتهم الآليّة، وأفراد هذه المجتمعات يعيشون بعيدا عن القيود الاجتماعيّة والدينيّة والقيميّة التّي قد تكون موجودة في المجتمعات التقليديّة، وهم بذلك يستطيعون تشكيل الصورة التّي يرغبون فيها عن أنفسهم والتعامل مع الآخرين بذوات مثاليّة وهويّات خفيّة (كما أشار إلى ذلك روجرز) من خلال الشبكات الاجتماعيّة والمنصّات الرقميّة، وفي نفس الوقت يعيشون حياة حقيقيّة تختلف عن الصورة المثاليّة التّي يرسمونها لأنفسهم. هذا النوع الجديد من الصراع الهوياتِي، يعكس التحديّات النفسيّة الراهنة التّي يُواجهها الشباب في عصر التكنولوجيا الرقميّة.

الشباب

يعرّف فُورْد ميلسون (1961)[14]الشباب على أنّه "مرحلة من مراحل العُمْر تقع بين الطفولة والكهولة وهي تتميّز من الناحية البيولوجيّة بالاكتمال العضوي ونضج القوّة، كما تتميّز من الناحية الاجتماعيّة بأنّها المرحلة التّي يتحدّد فيها مستقبل الإنسان سواء المهني أو العائلي" (لولي، 2016، ص. 54). فحينما ننظر إلى الشباب "كفئة عمريّة" ستلاحظ على الفور أنّها أكثر الفئات العمريّة حيويّة وقُدرة على العمل والنشاط، كما أنّها هي الفئة التّي يكاد بناؤُها النفسي والثقافي يكون مكتملا على نحو يُمكنّها من التكيّف والتوافق والتفاعل والاندماج والمشاركة بأقصى الطّاقات لتحقيق أهداف المجتمع.

وجيل القرن ال 21 هو الجيل Z، أي الأشخاص الذين ولدوا بين 1995 و2013، وهو الجيل الأكثر ارتباطا بالأنترنت وبالأجهزة الإلكترونيّة والهواتف والشّاشات. ويُشكّل هذا الجيل اليوم نحو 2.5 مليار نسمة بنسبة 32 بالمائة من إجمالي سكان العالم، الأمر الذي يجعله قادرًا ليس فقط على الانتشار على مواقع التواصل الاجتماعي، وإنّما أيضًا التأثير في العديد من المجالات، إذ يصفه علماء الاجتماع بأكثر الأجيال التي حوّلت مفاهيم المجتمع وقوانين التواصل والمعتقدات السائدة.

منهجية الدراسة

يندرج هذا البحث في إطار البحوث البِبْليُوغرافيّة التّي تعتمد على جمع ومراجعة الأدبيّات والمعلومات النظريّة والبحثيّة (مقالات، وكتب، ومحاضرات) المتاحة على مواقع البيانات الرقميّة وفي المكتبات والتّي تتناول مشكلة بحثنا، ثمّ عرضها وتحليلها وحوصلة الاستنتاجات الأكثر أهميّة. وللإجابة عن مختلف متطلبات الدراسة تمّ استخدام المنهج النسقي الذي سيمكنّنا من رصد المقالات والدراسات السابقة حول تأثير استعمال وسائل التواصل الحديثة على التنشئة الاجتماعيّة وهويّة الشباب بطريقة منهجيّة مُحكمة. وتمّ الاعتماد على برنامج زوتيرو (Zotero) كأداة لحفظ المقالات والدراسات التّي تحصّلنا عليها بعد عمليّة البحث، وترتيبها حتى يسهُل بعد ذلك قراءتها وتحليلها واستخراج محاورها. والهدف من المنهج النسقي هو البحث والدراسة بشكل منهجي للأبحاث السابقة التّي أُجريت في هذا المجال، وأخيرا، ينتهي العمل بتحليل النتائج لتكون النتيجة خريطة طريق للعثور على الفجوات والفراغات البحثيّة في هذا المجال.

[14] Ford Melson عالم اجتماع أمريكي (1920-1998) من أهم أعماله كتابه "التغيير الاجتماعي: نظرية وتحليل" (Social Change: Theory and Analysis) الذي نشر في عام 1961، والذي استكشف فيه عملية التغيير الاجتماعي والعوامل التي تؤثر فيها. عُرف ببحوثه حول آثار التكنولوجيا والتطورات الاقتصادية والسياسية في العالم الحديث.

مبادئ أخلاقيّات البحث

اعتمدنا في هذه الدراسة على مبدأ المصداقيّة والأمانة العلميّة في نقل نتائج الدراسات السابقة بشكل كامل حول هذه المسألة، وذلك بذكر المصادر المتعلّقة بالمواد المقدّمة بشكل موضوعي. إنّ هذا البحث عبارة عن دراسة نوعيّة حول الأبحاث الّتي أُجريت في مجال تأثير وسائط التواصل الرقميّة على التنشئة الاجتماعيّة للشباب وعلى تشكل الذّات والهويّة لديهم، والّتي أجريت بطريقة مقطعيّة من حيث الزمن.

التصميم

تم البحث في الأدبيّات بإتباع إرشادات بريزما PRISMA الّتي تعتمد أساسا على مجموعة من الخُطوات:
- مرحلة تحديد العنوان والكلمات المفتاحيّة للدراسة.
- مرحلة البحث في قواعد البيانات المتاحة باعتماد الكلمات المفتاحيّة.
- مرحلة تقييم وتنظيم الدراسات السابقة في قوائم المقالات الرئيسيّة والإضافيّة.
- مرحلة تحديد القائمة النهائيّة بعد تقييمها والتأكد من قيمتها العلميّة.
- مرحلة قراءة وتحليل الدراسات السابقة واستخراج المحاور الرئيسيّة وتبويبها.
- مرحلة كتابة التقرير.

جمع البيانات

أجري البحث في قواعد البيانات العلميّة العربيّة المحكّمة وأيضا قواعد البيانات الدوليّة المفهرسة بما في ذلك قواعد كايرن أنفو (Cairn)، وإلسفير، وسيانس ديريكت (Elsevier-Sciences Direct)، وسبرنجر (Springer)، وجيستور (JSTOR)، وويلي أون لاين ليبراري Wiley Online Library وأكسفورد انيفرسيتي براس (Oxford University Press) وساج للنشر (Sage Publishing) وغوغل سكولر (Google Scholar)، وقاعدة بيانات الجمعيّة الأمريكية لعلم النفس (APA). ولتغطية المزيد من المقالات المنشورة، بعد البحث في قواعد البيانات، تمّ أيضا البحث في محرك جوجل والاطلاع على التقارير الدوليّة عن التواصل ومقالات منشورة في مواقع مجلّات وصحف إخباريّة ومُنتديات، بهدف إثراء معلوماتنا حول موضوع الدراسة والتعرف على آخر الإحصائيّات حول استخدام الشباب لوسائل التواصل الحديثة ومواقف وردود الصحفيّين تجاه الجيل الرقمي وهويّته وحياته الاجتماعيّة، نذكر منها: تقرير data reportal وتقرير الاتحاد الدولي للاتصالات ITU ومجلّة لوبوان (Le Point) ومجلّة أُبْس (OBS) ومجلّة العربي، ومجلّة أندبندن عربية، وموقع الأمم المتّحدة، وموقع اليونسيف، وموقع الجزيرة نت. كما تمّ أيضا البحث يدويّا عن العديد من المجلات في هذا المجال بمكتبة مركز البحوث والدراسات في حوار الحضارات بسوسة.

ولجمع المتون المتوافرة، اقتصر البحث الشامل على تخصّصات معيّنة، وهي الآتي؛ علم النفس، وعلم الاجتماع، والفلسفة، والأنثروبولوجيا، والإعلام، المنشورة في الفترة الزمنيّة ما بين عام 2000 و2023. وشملت مصطلحات البحث الكلمات المفتاحيّة الآتية:

جدول 1

الكلمات المفتاحية المعتمدة في البحث عن الأدبيات السابقة

الكلمات المفتاحيّة	Mots clés
الشباب	Jeunes
وسائل التواصل	Moyens de communication
تكنولوجيا التواصل الحديثة	Nouvelles technologies de communication
التنشئة الاجتماعيّة	Socialisation
التأثير	Influence
الذّات	Soi
تقدير الذّات	Estime de soi
الهويّة الاجتماعيّة	Identité sociale
الهويّة الافتراضيّة	Identité virtuelle
المجتمعات الافتراضيّة	Société virtuelle
جيل Z	Génération Z
الجيل الرقمي	Génération numérique

معايير الإدراج والاستبعاد

اقتصرت الدراسة من الناحية الموضوعيّة على المقالات العلميّة والكتب والدراسات الميدانيّة في العلوم الاجتماعيّة، وشملت معايير الإدراج والاستبعاد النقاط الآتية:

معايير الإدراج

- المقالات التّي تتحدث بنحو ما عن موضوع الدراسة وتحتوي على الكلمات المفتاحيّة؛
- المقالات التي اختصت الجيل Z في تحليلاتها أو دراساتها الميدانية؛
- المقالات التّي نشرت ما بين 2000 و2023؛
- المقالات ذات المنهجيّة العلميّة والشواهد الكافية حول موضوع البحث؛
- المقالات المنشورة باللغات العربيّة والفرنسيّة والإنجليزيّة؛
- مقالات التخصّصات الآتية: علم النفس، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، والفلسفة والإعلام؛
- مقالات ودراسات نشرت في كتب أوراق أعمال مؤتمر تمت مراجعتها وتحكيمها.

معايير الاستبعاد

- الدراسات التّي تتكون عيّناتها من أطفال أو فئات عمريّة أخرى غير الشباب؛
- المحاضرات المقدمة في المؤتمرات بسبب مخاوف تتعلق بالجودة؛
- الدراسات التّي تناولت جزءا فقط من مفهوم التنشئة الاجتماعيّة؛
- المقالات المنشورة في المجلات غير المُحكمة، وفي مواقع غير معروفة؛
- المقالات البعيدة عن موضوع الدراسة.

عرض النتائج ومناقشتها

وصف البيانات وتقييمها

تم العثور على إجمالي 178 مقالة، وبعد حذف المقالات المكرّرة وذات الملخّصات غير المرتبطة وصل العدد إلى 80 مقالة، ومن بين هذه المقالات تمّ اختيار 60 مقالة تُناسب موضوع البحث، وبعد المزيد من الفحص والتدقيق في المحتوى ووجهة النشر ومناهج البحث، حُذفت 4 مقالات وبذلك اشتملت العيّنة النهائيّة على 56 مقالا علميّا مفهرسا ومحكما في مجلات دوليّة معروفة؛ وبعض فصول الكتب، والمقالات الصحفيّة والتقارير الدوليّة، نشرت ما بين الفترة 2000-2023.

جدول 2

حجم عينة المراجع المعتمدة في الدراسة

إجمالي عمليّات البحث في قواعد البيانات	ن= 178
إجمالي عدد المقالات غير المكررة	ن=80
إجمالي عدد المقالات التّي تناسب موضوع البحث	ن= 60
إجمالي عدد المقالات التّي حُذفت بعد مزيد من الفحص	ن= 4
إجمالي عدد المقالات النهائيّة مع مناهج البحث ذات الصلة	ن=56
إجمالي عدد المقالات المختارة	ن= 56

كما ذُكر أعلاه، فإنّ العدد الهائل من الدراسات البحثيّة والمتغيّرات التّي تمّت دراستها يجعل من الصعب استخلاص استنتاجات حول هذا الموضوع. لذلك قمنا بتصنيف مواضيع المقالات إلى محاور كما يلي:

- واقع استخدام الشباب لوسائل التواصل الحديثة؛
- تأثير وسائل التواصل الحديثة على التنشئة الاجتماعيّة؛
- تأثير وسائل التواصل الحديثة على الذّات والهويّة.

المحاور الرئيسيّة

المحور الأول: واقع استخدام الشباب لوسائل التواصل الحديثة

الحديث عن واقع استخدام الشباب لوسائل التواصل الرقمي يتطلب معرفة نوع الاستخدام، ودوافع الاستعمال، والإشباعات التي تحققها لهم هذه الوسائل. "استخدم" لغة تعني "استعمل آلة وانتفع بها"، و"الاستخدام" (usage) هو الاستعمال الذي يتكرر في الزمن، أي " الفعل أو النشاط الاجتماعي الذي يُصبح شائعا في المجتمع بفضل التكرار والقدم. عندما يتكرّر الفعل المرتبط بالاستعمال بما يكفي، يتحوّل إلى استخدام، أي يصبح جزءًا من العادات اليوميّة للأفراد وأحيانا إلى سلوك وعادات واتّجاهات يتبعها الأفراد في المجتمع" (رايس علي، 2016). أمّا "الاستعمال" فهو "طلب العمل" أو "استخدام شيء ما بشكل عملي وتطبيقي لأداء وظيفة معيّنة أو تحقيق هدف معيّن، في سياق معيّن، سواء كان في الحياة اليوميّة أو العمليّة. أي أنّ الاستعمال يتحوّل إلى استخدام في حال إذا تكرّر الفعل. ويَعْرف اليوم مفهوم "الاستخدام" عدّة تضاربات في المعنى، إذ تختلف دلالاته باختلاف ما هو اجتماعي وما هو تقني، خاصّة مع دخول تكنولوجيا التواصل في الحياة الاجتماعيّة، حوّلت المستخدم التقليدي إلى مستهلك يؤثر ويتأثّر بقوانين العرض والطلب.

التطبيقات والمواقع الأكثر استخداما

تشير آخر الإحصائيات الواردة في تقرير داتا ريبورتال (Data Reportal, 2024)، أن غالبية الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 16 و34 عامًا يميلون إلى استخدام منصّات وسائل التواصل الاجتماعي وتطبيقات الدردشة بشكل كبير.

جدول 3

نوع استخدام وسائل التواصل الحديثة لدى الشباب (تقرير داتا ريبورتال أفريل 2024)

المواقع المستخدمة	السن: 16-24	المواقع المستخدمة	السن: 25-34
شبكات التواصل الاجتماعي	%97.1	شبكات التواصل الاجتماعي	%96.4
التشات (الدردشة)	%96.6	التشات (الدردشة)	%96.4
الإميل	%75.9	المواقع التجارية	%76.4
المواقع التجارية	%73.4	الإميل	%74.1
الموسيقى	%56.1	الموسيقى	%50.9
الترفيه	%53.2	الترفيه	%50.3
الألعاب	%43.0	الطبخ	%44.6
الطبخ	%40.8	الألعاب	-

ووفقا لنفس التقرير فإن منصّات وسائل التواصل الاجتماعي الأكثر استخداما هي:

الإنستغرام: تصدرت قائمة الاستخدام بنسبة 45.3% لأنه يمكن الشباب من التواصل الاجتماعي عبر مشاركة الصور والفيديوهات.

- التيك توك: جاءت في المرتبة الثانية بنسبة 30.5% لكونه منصة ترفيهية وإبداعية تمكنهم من التعبير عن أنفسهم بطرق مبتكرة؛

- الواتساب: جاءت في المرتبة الثالثة بنسبة 27.6% لكونه تطبيق المراسلة الفورية للتواصل مع الأصدقاء؛

- الفيسبوك: جاءت في المرتبة الرابعة بنسبة 16.8% ويشير هذا إلى أن الفيسبوك ليس له نفس الشعبية التي كانت عليها في السابق. ويعزى ذلك إلى عدة عوامل، منها تفضيل الشباب للمحتوى البصري.

تُظهر هذه النتائج تفضيلات الشباب لوسيلة دون أخرى من وسائل التواصل الاجتماعي، وهي اختيارات تعكس توجهات الجيل الحالي نحو المنصات التي يكون فيها التفاعل أقرب إلى الواقع.

كما أظهرت دراسة أخرى نشرت على موقع مايو كلينيك (Mayo Clinic, 2024)، أجريت على مجموعة من المراهقين (13-17 عام)، أنّ 35 بالمائة منهم يستخدمون على الأقل واحدة من خمس منصّات لوسائل التّواصل الاجتماعي لأكثر من عدّة مرّات يوميّا، وهي كالآتي: اليوتوب YouTube، والتّيك توك TikTok والفيسبوك Facebook، والإنستغرام Instagram، والسناب شات Snapchat (فريق مايو كلينيك، 2022). وهذا يؤكد أن الجيل القادم من الشباب له ميولات نحو الوسائل التي تعتمد الصورة وتقنية الفيديوهات.

دوافع استخدام الشباب لوسائل التواصل الحديثة

من أولى الدراسات التي اهتمت بدوافع استخدام الشباب للأنترنت دراسة لافارل وآخرون التي أجريت عام 1997 عل عينة من الشباب الأمريكيين ونشرت عام 2000 (La Ferle et al., 2000) وهدفت إلى فحص علاقة المراهقين (البالغين من العمر 14-19 عامًا) بوسائل التواصل المختلفة، مع التركيز على كيفية تمضية وقتهم (عبر التلفزيون، أو القراءة، أو الراديو، أو الإنترنت) والاحتياجات التي تلبيها كل وسيلة إعلامية (الترفيه، البحث، الواجبات المنزلية، التثقيف الصحي، التسوق، الترفيه، الأخبار/الأحداث الجارية). وأجريت الدراسة على عينة قوامها (189) شابا أمريكيا من كلا الجنسين (46 ولد و54 بنت) واستخدمت الاستبيان كأداة للدراسة. وتوصلت الدراسة إلى أن المراهقين في تلك الفترة يقضون معظم أوقاتهم في الاستماع إلى الراديو، بينما يُستخدم الإنترنت بشكل متكرر للمهام المدرسية، ولم يوجد تباين على مستوى اختيارات وسائل الإعلام والتواصل بين المراهقين حسب احتياجاتهم. لكن تم العثور على اختلافات بين الجنسين في الاحتياجات التي يلبيها الإنترنت. وهو ما تؤكده دراسة أنطوان (2009) "العمل الاجتماعي، التواصل الاجتماعي والإنترنت" التي اعتمدت تقنية الملاحظة المباشرة على عينة من الشباب تتراوح أعمارهم بين (15-24) وهم على الإنترنت في منازلهم. وأظهرت النتائج اختلافا بين الجنسين، حيث يقوم الأولاد بزيارة المواقع الإباحية بينما تفضل البنات المواقع التي توفر معلومات عن الصحة والرفاهية والسعادة.

وفي نفس السياق قام تاريان (Therrien, 2012) بدراسة تحليليّة من المستوى الثاني (Le Phénomène Facebook: usages et gratifications)، وتمثل هدف الدراسة في فهم دوافع استخدام الفيسبوك من طرف شباب شمال أمريكا. وقام الباحث بتجميع مجموعة من الدراسات العلمية حول استخدامات وإشباعات فيسبوك التي تمت بين عامي 2007 و2012. أظهرت النتائج وجود أربعة دوافع في استخدامات الفيسبوك؛ أولا، المراقبة والتجسّس على الأصدقاء بالاطّلاع على تعليقاتهم ومنشوراتهم على الصفحة، ثانيا، الترفيه كمشاركة الموسيقى ومقاطع الكليبات، ثالثا، الهروب من مشاكل الحياة الاجتماعيّة وتمضية الوقت، رابعا، لأغراض شخصيّة ونفسيّة، مثل تحقيق الذّات من خلال رسم هويّة رقمية

تساعده في تحديد وضعيّته أو تحقيق الشهرة ورفع الثقة بالنفس، وأحيانا لبناء علاقات اجتماعيّة جديدة، أو الحفاظ على العلاقات القديمة مع الأصدقاء والعائلة (Therrien, 2012). وحديثا، بيّن تقرير داتا ريبورتال (Data Reportal, 2024) أن أكثر دوافع استخدامات شباب القرن ال21 هي التواصل مع الأصدقاء والعائلة، والترفيه (الاستماع إلى الموسيقى ومشاهدة الفيديوهات)، ونلاحظ اختلافا على مستوى دافع الدراسة والتعليم بين فئتي المرحلة العمرية الأولى والثانية من الشباب كما هو مبين في الجدول.

جدول 4

دوافع استخدام وسائل التواصل لدى الشباب (تقرير داتا ريبورتال، أبريل 2024)

السن: 16-24		السن: 25-34	
التواصل مع الأصدقاء والعائلة	%60.0	البحث عن المعلومات	%57.7
البحث عن المعلومات	%59.8	التواصل مع الأصدقاء والعائلة	%55.7
مشاهدة فيديوهات	%57.8	مشاهدة فيديوهات	%53.1
الاستماع إلى الموسيقى	%55.4	متابعة الأخبار	%48.3
الدراسة والتعليم	%52.0	البحث عن أفكار جديدة	%46.6
البحث عن أفكار جديدة	%49.1	تعلم مهارات	%46.5
تعلم مهارات	%48.9	الاستماع إلى الموسيقى	%45.9
متابعة الأخبار	%45.9	البحث عن مشتريات	%42.4
ملء الفراغ	%45.8	ملء الفراغ	%40.5
الألعاب	%42.0	الدراسة والتعليم	%38.4

ولا تختلف نتائج الدراسات الميدانية كثيرا في المجتمعات العربيّة، حيث بيّنت دراسة أجريت في الجامعات الأردنيّة أن دوافع استخدامات وسائل التواصل الحديثة تتمثل أوّلا في الترفيه والتسلية (87 بالمائة) ثمّ الدراسة (79 بالمائة)، ثمّ البحث عن أصدقاء الطفولة (78 بالمائة) وأخيرا متابعة الأخبار السياسيّة (87 بالمائة). أمّا بالنسبة للإشباعات والحاجات التّي يسعى الشباب العربي إلى تلبيتها من خلال استخدام وسائل التواصل فهي متنوعة؛ منها ما هو اجتماعي من خلال خلق جو اجتماعي وتواصل بين الزملاء، ومنها ما هو معرفي من خلال طرح أفكار جديدة بين الطلبة، والحصول على معلومات عن العالم، الاستطلاع واكتشاف مواضيع خارج التخصص (الدليمي، 2014).

وتتأثر استخدامات الشباب بعدة عوامل كما بيّنت ذلك مجموعة أخرى من الدراسات الميدانيّة أجريت في إفريقيا وأوروبا وأمريكا عن مدى تأثير الانتماء الجغرافي (Canclini & Labarthe, 2017) والسياق الثقافي على نوع استخدامات الشباب لتقنيّات التواصل الحديثة، وطريقة التّواصل مع بعضهم البعض (Mercklé, 2016) وتفاعلهم الاجتماعي (Costa-fernandez et al., 2016; Therrien, 2012)، وخاصة في المجتمعات الإفريقيّة التّي لا تزال تتعامل معها بحذر بسبب مخاوف الأولياء والمربّين (Maïdakouale & Fagadé, 2023) ومدى تأثيرها على الثقافة الإفريقيّة المحليّة (Alzouma, 2020) ونمط الحياة، والقيم في المجتمعات الأوروبيّة (Mentec & Plantard, 2014)، والاتجاهات نحو الذّوات المرقمنة "سايبورغ" (Tordo, 2019)، والهوية الرقمية (Lardellier, 2008)، والتطور السريع لهذه الاستخدامات مع التطور التكنولوجي.

ومع ذلك لا تزال الدراسات المقارنة بين استخدامات الشباب لوسائل التواصل الحديثة نادرة جدا وتحتاج إلى مزيد من الاهتمام من طرف الباحثين في العلوم الاجتماعيّة.

تأثير استخدامات الشباب في المشاركة الرقمية

تشير مجموعة من التقارير أخذت من ثلاث مصادر وهي داتا ريبورتال (Data Reportal)، ستيتسبرو (Statusbrew)، وبرود باند سيرش (Broad Band Search) إلى الدور الذي يلعبه الشباب في توجيه اتجاهات الاستهلاك الرقمي بصفة عامة، حيث أنّ 60 بالمائة من مستخدمي الإنترنت ووسائل التّواصل الاجتماعي هم من الشباب، منهم أكثر من 55 بالمائة مدمنون على وسائل التواصل الاجتماعي، ولهم حسابات على أكثر من 9 شبكات تواصل مختلفة، بمعدّل كلّ شهر، عبر هواتفهم الجوالة (نقلا عن الدلقموني، 2021).

كما بيّن تقرير "حقائق وأرقام"[15]، الصادر عن الاتحاد الدولي للاتّصالات عام 2023، أنّ الشّباب الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و 24 عاما:

- يمتلكون هواتف ذكيّة بنسبة وصلت إلى 95 %؛
- قادرين على استخدام الإنترنت بنسبة وصلت إلى 45 %؛
- عدد مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي وصل إلى78.8%؛

[15] تقرير الاتحاد الدولي للاتّصالات (ITU) وهو وكالة الأمم المتّحدة المتخصّصة في مسائل تكنولوجيّات المعلومات والاتّصالات (ICT)، التي تقود عجلة الابتكار في مجال تكنولوجيّات المعلومات والاتّصالات جنباً إلى جنب مع 193 دولة عضواً وعضويّة تضم ما يزيد على 900 كيان من الشركات والجامعات والمنظّمات الدوليّة والإقليميّة.

- الوصول إلى نسبة تُعدُّ بالعالميّة، أي أعلى من 95 بالمائة في الفئات ذات الدخل الاقتصادي المرتفع والمتوسّط مقابل39 بالمائة في الفئات ذات الدخل المنخفض؛
- معدل الاستخدام 5 ساعات في اليوم

كما يشير تقرير داتا ريبورتال (Data Reportal, 2024) إلى أنّه:

- في أبريل 2024 بلغ عدد سكان العالم 8.10 مليار نسمة؛
- عدد من لهم هواتف ذكية: 69.7%؛
- عدد مستخدمي الإنترنت: 67.1 %؛
- عدد مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي: 62.2 %؛
- متوسط الوقت الذي يقضيه المستخدم النموذجي يوميًا على الإنترنت 6 ساعات و35 دقيقة؛
- عدد المستخدمين الشباب (16-24) للإنترنت: 84.4% بنات مقابل 82.2% أولاد؛
- الوقت الذي يقضيه الشباب (16-24) على الإنترنت: 7س و19د.

هذا يعني أن أغلبية مستخدمي الإنترنت هم من الشباب حيث تمثل الفتيات أكبر نسبة. ومن بين النتائج الأخرى التّي جاءت في التقرير، تصاعد سريع لعدد الشباب الذين لهم اشتراكات في اتصالات النطاق العريض (téléphonie large bande) أي عبر السكايب، والواتساب، والإنستغرام، وأصبحت قريبة من معدلات الاشتراك في الاتّصالات الخلويّة المتنقلة. لكن ضعف المهارات الرقميّة يحُول دون استيعاب بعض الشباب فوائد استخدام الإنترنت ويجعلهم أكثر عُرْضة للمخاطر الإلكترونيّة. وكل هذه الإحصائيّات تبرز تفاعل الشباب مع العالم الرقمي، ودوره كقوّة محرّكة للاتّصال والمشاركة الرقمية.

المحور الثاني: تأثير وسائل التواصل الحديثة على التنشئة الاجتماعيّة

تأثير الوسائل الحديثة في نموذج التواصل

غيّر الإنترنت شكل النماذج التواصليّة التقليديّة التّي تقوم على نقل المعلومة من مصدر واحد إلى متلقّين متعدّدين دون تفاعل بين الطرفين. وبفضل تطبيقات جديدة للتّواصل مثل الدردشة الصوتيّة والفيديو، أصبح التواصل يتم عبر عملية تشاركيّة بين المرسل والمتلقّي ممّا أضاف أنماطا جديدة من التفاعلات الاجتماعيّة كان لها انعكاساتها الإيجابيّة والسلبيّة على الروابط الأسريّة والاجتماعيّة.

وفي دراسة ميدانية لـ أوباكس (Aupeix, 2010) حول "اليوميّات الشخصيّة على الإنترنت: بين مساحة شخصيّة ومكان للتبادل"، اعتمدت فيها الباحثة تقنية المقابلة التفاعلية مع أصحاب اليوميّات الشخصيّة على الإنترنت. وأظهرت النتائج ثراء التواصل والتفاعل الاجتماعي خلال نشر اليوميّات الشخصيّة على الإنترنت، كوسيلة لبناء صورة ايجابيّة عن الذّات وعلاقة مؤثرة مع الآخر رغم نتائجها السلبية في بعض الأحيان.

وتناولت دراسة أخرى تغير نموذج استخدام الشباب لوسائل الإعلام، إذ لم يعد الجيل Z يبحث عن الأخبار في عصر وسائل التواصل الاجتماعي، بل يعتمد على الأخبار تجدني (Chen & Ha, 2023)، أي تحوّل النموذج التقليدي إلى نموذج جماهيري (مثل منصّات اليوتوب) تفاعلي (مثل تطبيقات الويكيبيديا) حيث يمكن لكل شاب أن يكون هو بنفسه صانعا ومصدّرا للمعلومة (إنتاج، ومشاركة مقاطع فيديو وتحرير محتوى) (Alvarez-Macias, et al., 2023).

تحدث فرابو (2007) في دراسته التي هدفت للتعرف على كيفيّة استخدام وسائل التواصل الرقمية لدى عينة من الشبان الفرنسيين البالغين من العمر 18-38 عامًا والذين يعيشون بمفردهم. ركزت الدراسة على نوع المعدات التي يستخدمونها والمكانة التي تحتلّها في الفضاء المنزلي. وقد استخدمت تقنية المقابلة وجهًا لوجه كأداة للدراسة. أظهرت النتائج أن 90% من الشباب يملكون جهاز حاسوب، مع وجود فارق كبير بين الجنسين، حيث تملك البنات العدد الأكبر من الأجهزة (74% مقابل 58%) وهن الأكثر استخدامًا للشاشات. حيث أصبح الكمبيوتر أداة ضرورية في حياتهن اليومية والاجتماعية، ويتنقل معهن في كل مكان في البيت، ويستخدمنه للتواصل وتعويض المقابلات المباشرة وبذلك يقلل من حاجتهن للخروج. كما طور شباب العينة استخدامات قياسية للبريد الإلكتروني وشبكات التواصل الاجتماعي(Pharabod, 2007).

وقامت بعض الدراسات بتحليل طريقة التواصل بين الشباب التّي غالبا ما تعتمد لغة الدردشة وهي لغة سهلة لا تتبع القواعد اللغويّة والنحويّة التقليديّة، هي لغة الفيسبوك التي غالبا ما تكون اللغة العاميّة، أو لغة أجنبية، أو لغة جديدة مبتكرة توحي بالانتماء إلى المجتمع الغربي والرغبة في الإفلات من الرقابة الجماعيّة (بوعزّة، 2013).

تأثير وسائل التواصل الحديثة في المؤسّسات الاجتماعيّة

أتاحت مواقع التّواصل الاجتماعي للشباب الفرصة للتعبير عن أفكارهم وجمع مهتمّين ومعجبين من كل أنحاء العالم، إلى درجة أنها أصبحت تحدد تمثلاتهم، وأسلوب حياتهم بكل تفاصيلها، سواء على صعيد اللغة أو السّلوك أو العادات وحتى طريقة تفكيرهم ومعالجتهم للقضايا الحياتيّة المختلفة؛ لذلك وجدت الأسرة - كمؤسّسة أساسيّة في عمليّة التنشئة- نفسها أمام تحد كبير وعميق في مواجهة الآثار الاجتماعيّة والنفسيّة الناتجة عن الانتشار والاستخدام المجحف لهذه الوسائل التّي أصبحت عنصرا وجزءا من عناصر التنشئة الاجتماعيّة، فهي تستحوذ على اهتمام الشباب وتشارك الوالدين في بناء

وتشكيل المنظومة الاجتماعيّة والسّلوكيّة والقيّميّة لأبنائهم من خلال المحتوى العالمي الـذي تتضمنه. وبعـد أن كان الشاب يسير في حياته الاجتماعيّة وفق قواعـد وضوابط اجتماعيّة تعارف عليها المجتمع، وجد نفسه أمام محتوى وعالم افتراضي تجاوز هذه القواعد والضوابط، وذات خلفيّات ثقافيّة واجتماعيّة متنوّعة (Alvarez-Macias et al., 2023) كما أجمعت بعض الدراسات على الدور الإيجابي الذي تقوم به وسائل التّواصل الحديثة في التنشئة الاجتماعيّة من حيث سهولة إنشاء التّواصل والترابط بين الشباب والإسهام في تعزيز وتقوية علاقاتهم مع الأهل والأصدقاء (Strasburger et al., 2010) وتقريب المسافات، كما تتيح هذه الوسائل الفرصة للشباب الذين يعانون من الحساسيّة والخجل من التّواصل مع الآخرين بكل سهولة، وتحميهم من المواجهة المباشرة وتعقيداتها النفسيّة والاجتماعيّة. وأشارت بعض الأبحاث الأخرى إلى أن مجرد مشاركة الشاب مشاكله والتعبير عنها والحصول على دعم الآخرين، أو سماع خبراتهم حول نفس المشكلة وكيفيّة حلّها، يسهل عليه تخطّي التجربة بشكل أفضل.

وتناولت مجموعة أخرى من الدراسات الميدانيّة أجريت في مجالات مختلفة حول ظاهرة الانفجار الرقمي وحريّة التواصل والتعبير ومدى تأثيرها على الثقافة المحليّة (Breton & Proulx, 2012)، وأنماط العيش والعلاقات الاجتماعيّة (Costa-fernandez et al., 2016) والنفسية (Velkovska, 2002) والاجتماعيّة (Vlachopoulou & Missonnier, 2015) خاصّة على مستوى العلاقات الشخصيّة، حيث تتيح اللقاءات عبر الإنترنت فرصة لتعزيز بناء الذّات وتحقيق الراحة والسعادة أكثر بكثير من اللقاءات الواقعيّة "وجهًا لوجه". رغم أنّ هذا النوع من اللقاءات قد يؤدّي أحيانا إلى عدم الاستقرار في العلاقات الشخصيّة، وربما إلى الانفصال في الحياة الزوجية، وهي ظاهرة متفشية في المجتمعات الحديثة بسبب التركيز على الذّات والتحرّر من القيم الجماعية (Neyrand, 2015).

ولكن في المقابل، كشفت أغلب الدراسات أيضا عن أبرز الآثار السلبيّة لوسائل التواصل الحديثة، مثل: إدمان الإنترنت، وقلة التفاعل مع الأسرة، والإغراق في التسلية وإضعاف الإبداع (Alzouma, 2020). وتأثير هذه الوسائل على الحوار والتّواصل داخل الأسرة أصبح واضحا في أغلب المجتمعات خاصة أن الغالبيّة الكبرى من الشباب يفضلون استخدام وسائل التواصل بشكل منفرد بعيدا عن الرقابة الأسريّة، مبحرين في الإنترنت ومندمجين في فضاءاتها الواسعة، لأن معظمهم يعتبرونها ضرورة حياتيّة ولغة العصر التّي لا يُمكن الاستغناء عنها، وهذا ما زاد من ذوبان التّواصل داخل الأسرة (بوقلقول و بومعزة، 2017)، خاصة في غياب الصورة المثالية التقليدية للسلطة الوالديّة كما أشارت إلى ذلك إحدى الدراسات (Brabson & Brown McCabe, 2012).

وتعتبر اليوم استخدامات الشباب لتقنيّات التواصل الحديثة من أهم أسباب التفكك الأسري وإدمان الشاب عليها ممّا يسهم في الشعور بالخمول والكسل (جابر، 2015)، حيث صارت منصات التّواصل الاجتماعي وسيلة لتضييع الوقت، وملء الفراغ، وإضعاف العلاقات الاجتماعية والأسرية، وزيادة انتشار المعلومات الزائفة وتقويض النظام التعليمي وانتهاك خصوصية الشباب مما قد يدفعهم إلى اتخاذ إجراءات عنيفة أو غير لائقة (Siddiqui & Singh, 2016) وكذلك الإدمان الذي فسرته دراسة مأمون طربيّه (2011) بمجموعة من الأسباب؛ منها ما هو نفسي، حيث يصبح التعلق عادة يوميّة حتى يدخل إلى مرحلة الهوس والفضول والإعجاب بالذّات أو الإعجاب بآخر ويرغب أن يتعقّب أخباره على صفحات الموقع. ومنها ما هو اجتماعي وعاطفي نتيجة وجود فراغ عاطفي، فيكون الوسيلة الأقرب لتمضية الوقت أو لغياب وسائل تسلية متناولة أو لأنه يصبح بالنسبة إلى بعضهم بمثابة نافذة للتعرف على أشخاص جدد، إلى درجة الوحدة والانعزال والتقوقع مع الشاشة بعيدا عن أي نشاط اجتماعي (عبديش، 2014).

كما يجد الجيل الرقمي نفسه في حيرة أمام الأشكال الجديدة من التدين تتجسد في معتقدات مثل الإسلام الرقمي (Bunt, 2003)، والإسلام الفرنكفوني (Madore, 2016) ومنظمات دينية سلفية بدعم من نخبة جديدة من المثقفين (Madore, 2016b)، ومن رجال الدين الذين يستغلون وسائل التواصل الاجتماعي للتأثير وتوجيه الرأي العام وخاصة منهم الشباب والمساهمة في إنتاج الأجندة الإعلامية ولزيادة شهرتهم (Havard et al., 2016)، كما يواجهون أشكالا جديدة من الروابط الاجتماعية التي تُحوّلهم لا إراديّا من مجرّد أعضاء في شبكة أصدقاء إلى متورّطين في شبكات جنسيّة (Welzer-Lang, 2010).

كما أن الشباب هم الفئة الأكثر استقطاباً من قِبَل التنظيمات الإرهابيّة (Madore, 2016b) لارتيادهم دائما لمواقع التّواصل الاجتماعي، ونتيجة لذلك، أصبحوا أكثر عرضة لتأثيرات الدعاية الإرهابيّة والاستقطاب والتجنيد عبر مواقع التّواصل الاجتماعي، حيث بيّنت دراسة جندروم (Gendrom, 2007) كيف تستخدم التنظيمات الإرهابيّة استراتيجيات مبتكرة، مثل استخدام الروبوتات عبر الإنترنت ومواقع التّواصل الاجتماعي لاستقطاب الشباب المسلمين في الغرب والتّواصل معهم وتوجيههم نحو الفكر المتطرف (...) حيث يعتبر 90% من النشاط الإرهابي على الإنترنت يحدث عن طريق مواقع التّواصل الاجتماعي. كما أشارت دراسة مارتن رودنير التي تناولت الجهاد الإلكتروني (Rüdner, 2016) كيف استفادت التنظيمات الإرهابيّة من الإنترنت بإنشاء منصّات تفاعليّة، ونشر رسائلهم الدعائيّة، بالتحديد في أوروبا، واستقطاب إرهابيّين جُدد أُطلق عليهم "بالذئاب المنفردة" أو"المجاهدين الغرباء" القادمين من خارج البلدان الإسلاميّة، وكيف وقع استقطابهم، وتكوينهم وتجنيدهم للقيام بالعمليّات الإرهابيّة. كما أشارت بعض التقارير إلى كيف تم ابتكار روبوت في إندونيسيا يُستخدم للتواصل مع المجندين المحتملين، ممّا يوضح أن التنظيمات الإرهابيّة تبذل جهودًا لاستغلال التكنولوجيا في تحقيق أهدافها (Aly et al., 2017).

تأثير وسائل التواصل الحديثة في العمليّة التعليميّة

أصبح اليوم لزاماً على كل مجتمع يريد اللّحاق بالعصر المعلوماتي أن ينشئ أجياله على تعلّم الحاسوب وتقنيّاته يؤهلهم لمجابهة التغيّرات المُتسارعة في هذا العصر. لذلك تقوم أغلب دول العالم بوضع خطط معلوماتيّة إستراتيجيّة ومن ضمنها جعل الحاسوب وشبكة الإنترنت عنصراً أساسياً في المنهج التعليمي. وتختلف خطط إدخال المعلوماتيّة في التعليم تبعاً لاختلاف الدول، ليبقى التوجه العام حاليّاً هو الانتقال من تدريس كل ما له ارتباط بعلوم الحاسب الآلي، نحو الاهتمام أكثر بالتخطيط لزيادة التدريس المعتمد على المعلوماتيّة عبر المناهج الدراسيّة. وتباينت وتشعّبت الدراسات التّي اهتمّت باستخدامات الحاسوب في المدرسة وطريقة التعليم عبر آليّات التواصل الحديثة، نذكر منها دراسة لي وآخرون (Lee et al., 2003) التي تؤكد نتائجها التأثير الإيجابي لاستخدام تطبيقات الويكي على مشاركة المعرفة في المجتمعات الافتراضيّة من خلال تعزيز مشاركة المعرفة بين أفراد المجتمع. وفي دراسة أخرى قام بها برنار وآخرون حول التعليم التقليدي الحضوري والتعليم المدمج بتقنيّات التّواصل الحديثة أشارت النتائج إلى تفوق التعلّم عن بعد (أي بالإنترنت والوسائط الرقمية) على التعلم الحضوري (في الفصل الدراسي) بفارق له دلالة معنويّة (Bernard et al., 2014).

المحور الثالث: تأثير وسائل التواصل الحديثة على الذّات والهويّة لدى الشاب

تنوعت الدراسات التّي اهتمت بمسألة الهُويّة في علاقتها بالمجال الافتراضي. وركزت البحوث العربية على البعد الثقافي والاجتماعي للهوية الافتراضية، حيث تناولت العديد من الدراسات دور وسائل التواصل الاجتماعي في بناء الهوية بالنسبة للشباب، وركزت أخرى على تأثير الإعلام الرقمي في الهوية العربية الإسلامية، وكانت في أغلبها دراسات نظرية. أما البحوث الأجنبية فكانت أكثر غزارة وعمقا في تناولها للعديد من الإشكاليّات التّي تطرحها الهُويّة الافتراضيّة، وهي في معظمها إجرائية إمبريقية، وركّزت على العلاقة بين الذات الحقيقية والذات الافتراضية من خلال مقاربات تحليلية متعددة؛ نفسية، واجتماعية وقانونية وتكنولوجية وإعلامية حول استخدامات الشباب لتقنيات التواصل الحديثة بما فيها شبكات التواصل الاجتماعي.

هوية مشتركة

في تقرير (YouGov Facebook, 2020) الذي شمل 15 دولة، سئل مجموعة من الشباب عن الجماعة التي تمنحهم الشعور الأقوى بالانتماء؛ هل على شبكة الإنترنت أو خارجها؟ وتبيّن أن أغلب المشاركين كان لديهم شعور أقوى بالانتماء إلى جماعات الإنترنت. كما أظهرت النتائج أن الجماعات الأصغر عددا في الأعضاء لديها روابط اجتماعية أقوى ومدة حياة أطول، وغالبا ما يكون لها ولاءات للمدن أو البلد الأصلي للشاب. وكانت السمات الثلاثة الأكثر أهميّة في قائد جماعة الإنترنت هي" الترحيب بالاختلافات في الرأي بين الأعضاء " و "أن يكون مرئيًا، ويتواصل بشكل جيد" و"التصرف بشكل أخلاقي في كل الأوقات". وأظهرت نتائج "دراسة حالة "للمجتمع الإلكتروني Subtile Asian Traits الذي يضم شبابا آسيويين من جميع أنحاء العالم كيف أن 1.8 مليون شاب آسيوي يتواصلون بهوية لها سمات مشتركة، ويعمل هذا الموقع على تنشئتهم وتوحيدهم من خلال منصّات الفيسبوك، وهو فضاء يمكّنهم من التعبير عن قصصهم وتجاربهم الشخصية وكذلك هوياتهم وتراثهم في المجتمعات الآسيوية من خلال الجماعة التي ينتمون إليها تحت قيادة مجموعة من الشباب الذين لا يمكن لهم التواجد خارج الإنترنت (Noveck et al., 2021, pp.21-22).

الهُويات المقنّعة

في هذا السياق، نذكر كتاب "القناع والهويّة: "تأويل البناء الذّاتي في عصر المعلومات"(Wiszniewski & Coyne, 2002) حيث تطرّق الباحثان إلى مفهوم الهُويّة المقنّعة. وقد ذهبا إلى أنّه في اللحظة التّي يتّصل فيها الفرد بالفضاء الاجتماعي، فإنّه يصنع قناعا لهويّته. ولا يختلف هذا في المجتمعات الرقميّة، بل هو ظاهرة متفشيّة أكثر نتيجة خاصيات مستخدم الإنترنت، والاختيار الذي يقوم به عند إنشاء حسابه الشخصي عبر منصة الفيسبوك أو التوتير. فعليه أن يجيب عن أسئلة محدّدة حول عمره وجنسه وعنوانه. بالإضافة إلى ذلك، قيمة أنشطة المستخدم، وقناعُه كثيرا ما يحدّده أسلوبه في الكتابة، والكلمات التّي يستخدمها، والمواضيع التّي يطرحها.

نوع القناع الذي يختاره الشخص لا بدّ أن يعبّر عن ملمح واحد على الأقل من هويّته التّي يخفيها وراء القناع. ولنا أن نسمّي هذا "استعارة". ولا يدلّ القناع على الإنترنت عن هويّة المرء الحقيقيّة. ولكنه، مع ذلك، يقدّم مثالًا عمّا يقع خلف القناع، فعلى سبيل المثال: إذا اختار إنسان أن يتصرّف على الإنترنت كأنه نجمُ روك، فإنّ هذا يعبّر عن اهتمامه بموسيقى الروك. وحتّى إذا اختار الإنسان أن يختبئ خلف قناع زائف تماما، فإنّ هذا يدلّ على خوفه، وقلّة تقديره لذاته خلف القناع. وبسبب آليّات عاطفيّة وأخرى نفسيّة، يكره بعض الناس التّواصل على الإنترنت. وقد يستعمل الإنسان قناع الهُويّة درعًا يحتمي بها، إذ إنّ من أعظم مخاوف الهُويّة الرقميّة أن تُنتَحَل أو تُبتَزّ. وتمنع هذه المخاوف الناس من أن يشاركوا أنفسهم على حقيقتها. ويبلغ ببعض الناس خوفهم من الابتزاز والانتحال، أن يخفوا معلومات معروفة عنهم بين العامّة. أمّا عن طريق القناع، فيُمكن للناس أن يتواصلوا بأريحيّة، دون خوف من الآخر (Sica et al., 2011).

أما عن الانعكاسات السّلبيّة للهويّة الافتراضيّة على المجتمع، فقد تحدّثت عنها دراسة أُجريت في إطار الجرائم المرتكبة في الفضاء الإلكتروني، تحت عنوان " الشخصيّة والهويّة الافتراضية (Kokswik, 2013) وأظهرت كيف أنّ

القانون أصبح عاجزا عن ضبط المجرمين في المجال الافتراضي، حيث يقول الباحث إن الهُويّة المجهولة في عالم الفضاء الإلكتروني هي، عاجلاً أم آجلاً، ملموسة من الناحية القانونية. فالهويّات الافتراضيّة، التّي تمّ إنشاؤها عن طريق الصدفة وبطريقة ذاتيّة، لا يُمكن إصدار حكم في شأنها مثل الروبوتات أي بطريقة آلية. على النقيض من مسرح الجريمة التقليدي، فإن المتطفّلين أو المزيّفين عبر الإنترنت يتركون القليل من بصمات الأقدام الرقميّة. إذ أن تغيير سجلّات الكمبيوتر أسهل من تغيير السجلات الورقية. ويترك اللّصوص والمزيّفون الإلكترونيّون عددًا أقل من الأدلّة. ويختم الباحث دراسته بالتأكيد على أن العوالم الافتراضيّة والسّلوك الوهمي لا تتغير في كل العصور. الفرق الكبير هو الوسيط المستخدم، ومع عناصر المجانيّة والسرعة التّي تقدمها وسائل الإعلام الجديد، يحتاج القانون إلى بعض التعديلات من قبل الشرطة والقضاة. ومع ذلك فإن بعض الخبرة العمليّة (واستخدام قوّة تكنولوجيا المعلومات) ستساعد بالتأكيد على فهم الحالة الافتراضيّة.

الهوية الافتراضية والهوية الحقيقية: التحديات والفرص

جاءت في دراسة ميدانيّة بعنوان "مفهوم الذاتيّة الحقيقيّة مقابل الهُويّة الافتراضيّة على فيسبوك" (Marijana & Eleonora, 2014) مجموعة من التساؤلات حول ملامح الهُويّة الافتراضيّة وعلاقتها بالهُويّة الحقيقيّة للشباب المستخدمين لمواقع التّواصل الاجتماعي. وقد تمكنت من الحصول على نتائج مهمة عن طريق استبيان شاركت فيه عينة من طلبة المدارس الثانوية بلغ عددها 104 تلميذ وتلميذة تراوحت أعمارهم بين 12 و15 عاما. وأظهرت نتائج الدراسة أنّه لا يوجد طالب واحد له مفهوم سلبي للذات عبر الفيسبوك و97.6 بالمائة لديهم مفهوم إيجابي للذات بشكل عام، وأن الهُويّة الافتراضيّة لطلاب العيّنة هي هويّة حقيقيّة تمامًا: إذ أكد الطلاب المشاركون في العيّنة أنهم صرحوا بهويّتهم الحقيقيّة وبياناتهم الصحيحة على صفحات الفيسبوك الخاصّة بهم. وتستنتج الباحثة بأن نتائجها تتعارض مع الافتراض العام بأن الشبكات الاجتماعيّة قد استخدمت كأداة لبناء هويّات مثاليّة مقنّعة قد تتناقض مع الهويّة الحقيقيّة. إذ تظهر النتائج أن الهُويّة الرقميّة الافتراضيّة هي نفسها في الواقع وتتماهى مع مفهوم الذّات في الحياة الحقيقيّة.

كما تناولت بعض الّدراسات دوافع استخدام شبكات التّواصل الاجتماعي وتأثير ذلك على الهويّة، نذكر منها دراسة بعنوان "الهُويّة الافتراضيّة: خطر أم مورد" (Sica et al., 2011)، أجريت في إيطاليا بهدف التعرف على تأثيرات استخدام الشبكة الاجتماعيّة والبيئة الافتراضيّة للمستخدمين المتعدّدين (MUVE) على بناء هُويّة الشباب (ن=25، متوسط العمر 23 عامًا) واستخدمت تقنية المقابلة السّرية الذّاتيّة كأداة للدراسة. أظهرت النتائج أربع مجموعات معجميّة في استجابات المشاركين (أي 4 أفكار رئيسيّة تفسر دوافع استعمالهم لشبكات التّواصل الاجتماعي) (مع مؤشّر استقرار 78٪) وتتعلق كلها بعمليّات البناء الذّاتي. تتحدث المجموعة المعجميّة الأولى عن الفضول والاستكشاف؛ والمجموعة 2 عن الحاجة إلى الانتماء وقناع العواطف؛ والمجموعة 3 عن "الذّات المحتملة"؛ والمجموعة 4 عن تأثير القناع. وخلصت الدراسة إلى وجود مخاطر على بناء الهُويّة، ولكن أيضا فوائد مرتبطة بالأبعاد العلائقيّة والعاطفيّة للذات.

كما تناولت ميريام ميكل Miriam Meckel في دراستها التي نشرت في كتاب جماعي (Hoffmann et al., 2014) ظاهرة صناعة الهُويّة على شبكة الإنترنت، ونعتها بالمشوّهة وكيف أنها أصبحت سلعة رائجة. إذ يتعيّن على المستخدم إجراء عمليّات تحديث متواصلة للذات ليتسنّى له الصّمود في خضمّ المنافسة المحتدمة حول أفضل الأفكار. وأشارت في دراستها إلى أنّه لم يعد هناك مكان على شبكة الإنترنت للهويّات المتغيّرة أو الضعيفة أو التّي تبحث عن التفرّد.

الهوية الافتراضيّة ديناميكيّة ومُبدعة ومرنة

ناقشت عالمة الاجتماع الألمانية سارة مونكيبيرج Sarah Mönkeberg مفهوم الذات والهوية الافتراضية في كتاب "التجانس والشفافية في المجتمع الرقمي" حيث تمّ تخصيص فصل لها تحت عنوان "صور وتأملات الذات: الويب 2.0 كمؤسسة لتناول الذات؟" وقامت بمقارنة بين الهُويّة الطبيعيّة والهُويّة الافتراضيّة على النحو الآتي: في الوقت الذي يعتمد فيه المصطلح الكلاسيكي للهويّة على سمات تعريفيّة ظاهريّة، مثل لون العينين وبصمات الأصابع، نجد أن هويّة الإنترنت أكثر ديناميكية وإجرائيّة. فهي تنشأ أولا من الآثار الرقميّة التّي نتركها على شبكة الإنترنت: مثل البيانات ذات الصلة بالاتّصالات، والمواقع والسلع الاستهلاكيّة. ولكنها أيضًا تنشأ من طريقتنا في تجسيد أنفسنا. ففي عصور ما قبل الرقمنة، كانت الهُويّة صفة داخليّة وخصوصيّة في المقام الأول. فكان الفرد يؤدّي دورًا ما في الحياة العامة، ثمّ يعود إلى حياته الخاصة ليعيش ب "الأنا الواقعيّة". وتلك "الأنا"، بشكل خاص، أصبحت الآن علنيّة. وتوجد اليوم إمكانيّات جديدة لتكوين وبناء الهُويّة (...) وتُظهر عمليّات التغذية الرجعيّة (feedback) التّي نراها اليوم على شبكة الإنترنت، مثل إبداء الإعجاب بالصور الذّاتيّة (السلفي) على موقع الإنستغرام على سبيل المثال بدلا من كلمات الإطراء والابتسامة، دورا في بناء الهُويّة الذّاتيّة والحفاظ عليها، وبالتالي يتسنّى اختبار ومقارنة نماذج الهُويّات المختلفة (Grimm et al., 2015).

في دراسة حول "السلفي" كظاهرة فريدة في التصوير المعاصر" تحدّثت الباحثة الأستراليّة كارين آن دوناتشي (Donnachie, 2015)، عن الدوافع التي تقود الشباب إلى التقاط هذا النوع الخاص من الصور الذاتيّة، حيث قدّمت الحجّة بأنّ "السلفي" يعبّر عن نزعة إلى التظاهر أمام جمهور خيالي، وهو جزء لا يتجزأ من التكوين الطبيعي للهويّة لدى المراهقين. وأوضحت الباحثة أن انتشار هذه الظاهرة لن يمرّ دون تأثير في فكرة "الصورة" بشكل عام، و"الصورة الذّاتيّة" بشكل خاص أو كما يطلق عليها "السلفي"، وهي الوسيلة المثاليّة لوضع الذّات موضع تجارب، مما يدلّ على التحوّلات المستمرّة في مجال التصوير وتأثيرها على الثقافة والمجتمع.

سواء اعتبرنا الهُويّة الافتراضيّة دربًا من الميول الاستعراضية الاستحواذيّة أو شكلًا من أشكال التنوع الإبداعي، يبقى التساؤل هنا قائمًا: إلى أي مدى يتسنّى تجسيد "الأنا" الذّاتيّة بحريّة على شبكة الإنترنت؟

سجن العالم الافتراضي

في دراسة بعنوان "مواقع التّواصل الاجتماعي وواقع البناء الذّاتي للهويّة" للباحثة التونسية ثريا السنوسي (2019)، انطلقت الباحثة من مجموعة من الأفكار التّي صاغها ميشال فوكو في كتابه "المراقبة والعقاب" الصادر عام 1975 ونظرية البنوبتيك Panoptique لتوضيح كيف يمكن أن تؤثر وسائل التّواصل الاجتماعي على المستخدمين وتلزمهم باحترام قوانينها ومعاييرها. فرغم أن الفيلسوف فوكو قد توفي قبل انتشار الإنترنت، فإنّ دراساته عن التنشئة الاجتماعيّة وتشكيل الذات والهُويّة فيما يتعلق بالسلطة تنطبق على الحياة ضمن المجال الافتراضي. وإذا استأنسنا بالمنظور الفوكوي، يُمكن القول إن وسائل التّواصل الاجتماعي هي أكثر من مجرّد أداة لتبادل المعلومات، فهي وسيلة لتشكيل الهُويّة، تستخدم آلية "البنوبتيك" Panoptique. والبنوبتيك هو كلمة مركّبة من العنصر (Pan) الذي يعني في أصله اليوناني "الكل"، والعنصر "optique"الذي يعني النظر والرؤية، وهكذا تعني إذن كلمة "بنوبتيك "الرؤية الشاملة" أو "الرقابة الشاملة" التي لا يخفى عنها أي شيء.

وترجع فكرة "الرقابة الشاملة" باعتماد آلية "البنوبتيك" إلى الفيلسوف البريطاني والمصلح الاجتماعي جيريمي بنثام Jeremy Bentham (1748 -1832)، عندما اقترح مشروعا لبناء سجون بعدة طوابق وعلى شكل دائري مع برج في الوسط، تُرى وتُراقب منه جميع الزنازين وجميع السجناء. لكن هؤلاء السجناء لا يمكنهم رؤية من يراهم ويراقبهم من البرج المعدّ لذلك. وهو ما يجعلهم يتصرّفون على أساس أن هناك دائما مراقبا يراهم وذلك حتى عندما لا يوجد مراقب بالبرج. هذه الآلية التي تُبقى المراقبة دائما فعالة حتى وإن لم تكن موجودة أو حقيقية، هي طريقة جديدة للسيطرة الاجتماعية، ونوع جديد من "قوة العقل على العقل"، التي تتجه المجتمعات الافتراضية إلى تطبيقها، عبر سلطة مرئية وغير مرئية. ففي الفيسبوك نحن كلّنا حرّاس ومساجين، لأنّنا نراقب بعضنا البعض ونحاكم بعضنا البعض بشكل خفي أو علني أثناء مشاركتنا للمحتوى. ففي المشاركة عبر الإنترنت، نكشف خصوصياتنا للناس طواعيّة، ونعترف بذلك. ويطّلع بقيّة المُستخدمين على منشوراتنا ونتفاعل معهم. وإذا نلنا إعجابهم، فإنّهم سيُغدقون علينا بالتأكِيدات والتعليقات الإيجابيّة، وبالتالي يقع تكريم الهُويّة التّي نقوم بإنشائها لأنفسنا من خلال مشاركة هذا المحتوى. إذن، فطبيعة المراقبة الجماعيّة، التي صارت جزءا من الممارسة الافتراضيّة وتبدو أحيانا كأنها تلقائيّة، تضع في ذهن المُبحر في وسائل التّواصل الاجتماعي أنه تحت مجهر ال "هو" أو ال "هم" الحاضر دائما، الأمر الذي يؤثّر في طبيعة نشاطاته التكنولوجيّة كذات منخرطة في المجال العام أو البديل، وهو ما من شأنه أن يؤثّر على هويّته الحقيقية والافتراضيّة.

ويُوفر الإنترنت والشبكات الاجتماعيّة كمًّا هائلًا من البيانات والمعلومات التّي يشاركها الأصدقاء وأصدقاء الأصدقاء والمتابعين بشكل اعتيادي خلال نشاطاتهم اليومية في كل مجالاتها، لكن التفاعل الافتراضي حول مختلف القضايا والموضوعات يُمكن أن يسبّب حرجا عند الذات المبحرة أو خوفا أو تردّدا عند مواجهة المجتمع الافتراضي المنخرطة فيه والناشطة تحت لوائه فيضطرّ إلى استعارة هويّة أو هُويّات متعدّدة قد تشبهه ولكنها لا تكشف عن كل سماته الأصليّة. وبالتالي، فإن جملة من القيود والإملاءات المختلفة التّي ترتسم في مخيّلة الذّات النشطة على السوشيال ميديا تحُول دون عفويّة التّواصل وحريّة التعليقات بين الأصدقاء الافتراضيّين. وهو ما يجرّنا إلى القول بأنّ المجتمع الافتراضي الذي يعتبره عدد كبير من الباحثين "فضاء بديلا" ومتنفّسا يلجأ إليه الفرد هروبا من قيود الفضاء العام الواقعي، قد تحوّل إلى مجتمع بنوبتيكي بامتياز، له قواعده وقوانينه ولوائحه السياسيّة والدينيّة والأخلاقيّة والمعياريّة والإنسانيّة وهو ما خلق مزيجا من الهُويّات ومن الذوات المستعارة، قد تشبه الذات الحقيقية وقد لا تشبهها، لكن كل ذات تلبي حاجات بعينها حسب متطلبات المجال الافتراضي الذي تنشط في إطاره.

إن التطور الهائل للتكنولوجيا الرقمية جعلت المراقبة بآلية "البنوبتك" سهلة ومتاحة عبر الهاتف الذكي والإنترنت ووسائل التواصل المختلفة. وبما أن الشباب هم أكثر المستخدمين للتكنولوجيا الرقمية فإن حياتهم أصبحت مكشوفة على مرأى ومسمع الآخرين. فهم يتفاعلون في فضاء يشعرون فيه دائمًا بأنهم تحت المجهر، مما يضطرهم إلى تعديل سلوكهم وهوياتهم لتجنّب النقد أو الرفض. هذه المراقبة الدائمة والمستمرة تؤثر على تشكل الهوية والذات لديهم، فهم يتكيفون باستمرار مع المتطلبات والضغوط الاجتماعية والأخلاقية المفروضة في الفضاء الافتراضي. وهذا التكيف المستمر قد يؤدي إلى تضييق مساحة التعبير الذاتي الحقيقي، حيث يشعرون بضرورة الامتثال للمعايير الاجتماعية المقبولة.

هل أنت على الفيسبوك مراقب أم سجين

انطلقت دراسة السنوسي (2019) من أفكار فوكو لتصيغ فرضيتها التي أعقبتها بدراسة ميدانية على عينة من أصدقائها على الشبكات الاجتماعية. وتمثلت الفرضية كالآتي: وسائل التواصل الاجتماعي هي ليست مجرد أداة لتبادل المعلومات بل وسيلة لتشكيل الهوية، وتتضمن ميكانزمات تساعد في بناء الذات. وبدأت الجزء التطبيقي من دراستها بتقنيّة المقابلات الإلكترونيّة حيث تمحورت أسئلة الاستبيان حول فكرة "هل أنت على الفيسبوك مراقب أم سجين؟" و "هل أنّ السوشل ميديا يُمكن أن تخلق سجنا ما؟" (أو بنوبتيك كما يسميه ميشال فوكو)، وبعد تحليل محتوى الإجابات، أقر أفراد العينة بأن وسائل التواصل الاجتماعي تخلق سجنا افتراضيا تبادليّا يؤثّر على نفسيّة المستخدمين، وأن وعي المستخدم بأنه مراقب يقوده إلى محاولة إرضاء الحشد الافتراضي وكسب إعجابه من خلال اختيار مدروس لما يعرضه من منشورات

وفقا لمقتضيات المجتمع الافتراضي الذي ينتمي إليه، كما يقود إلى إعادة تشكيل هويّته بطريقة إبداعيّة. كما أثارت الدراسة مسألة صناعة الذّات ونحت هويّة مزيّفة من خلال استغلال المجال الافتراضي وما يوفره من انفتاح منقطع النظير في تطوير الهوية المروج لها. وخلصت الدراسة الى أن عددا كبيرا من مستخدمي الفضاء الافتراضي هم على وعي تام بالتحديات التي يواجهونها كناشطين افتراضيين. في المقابل، ينكر بعضهم اختزال الهوية الذاتية في الانتماء إلى حشد الفيسبوك.

الإعلام الجديد وهوية الشباب العربي

في دراسة بعنوان "إشكاليّة الهُويّة الثقافيّة في ظل الإعلام الجديد" (بلبليدية، 2018، نقلا عن السنوسي، 2020) ناقشت الباحثة علاقة الإعلام الجديد بتشكيل الهُويّة. وخلصت إلى القول بأن مرحلة الشباب هي مرحلة هامة تتأثر باتجاهات العصر والثقافة السائدة المحيطة به، وخاصة الإعلام الجديد الذي أصبح جزءا لا يتجزأ من حياة الشباب، مؤكدة أن ذلك ما أثبتته كثير من الدراسات وشواهد الواقع الاجتماعي، حيث أن التعرض لوسائل التّواصل الاجتماعي له تأثيرات على قيم وسلوك هؤلاء وممارساتهم، ممّا يؤدّي إلى تشكيل ثقافة قد تتوافق وثقافة المجتمع السائدة وقد تتعارض وتتنافر معها.

وفي كتاب بعنوان "الهُويّات الافتراضيّة في المجتمعات العربيّة: أيّ دور لمواقع التّواصل الاجتماعي" (عبد الحكيم أحمين، 2017، نقلا عن السنوسي، 2020) تناول في الفصل الثالث دراسة تطبيقيّة حول الدور الإعلامي لمواقع التّواصل الاجتماعي في تشكيل هويّة المجتمعات العربيّة والإسلاميّة. وتمثّلت أبرز نتائج هذه الدراسة في تصاعد الحديث عن الهُويّة مع ظهور العولمة وانتشارها في مجالات الحياة جميعها، وكذلك ارتباطها بـالشعور بالخطر الخارجي، والحاجة إلى الإصلاح الداخلي، والبحث عن كيفيّة الخروج من التخلف.

وفي دراسة بعنوان "السياقات الثقافيّة الموجهة للهويّة الافتراضيّة في ضوء تحديّات المجتمع الشبكي: من التداول الافتراضي إلى الممارسة الواقعيّة" الصادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية (بيبيمون، 2016)، تناولت الباحثة تمظهرات الهويّة الرقميّة في المجتمع الشبكي بمقاربة تحليليّة من النوع الثاني. وتوصلت الدراسة إلى أن الهوية الرقمية في العالم الافتراضي لا تزال غامضة المعالم بحكم تحررها من الحدود الجغرافية أو ضوابط منظومة قيميّة محددة. فهي فضاء مفتوح تتفاعل فيه مختلف الثقافات. وختمت الباحثة دراستها بجملة من الإقرارات أهمّها تشتت الشباب بين المجتمعات الافتراضية والواقعية، وبين ثنائية الشبكات والهوية، مما ينبئ بأزمات الإنسان المعاصر الذي عليه أن يدرك ذلك لحلْحَلة المشاكل الحضارية.

وفي دراسة بعنوان "الهُويّة الافتراضيّة: الخصائص والأبعاد، دراسة استكشافيّة على عيّنة من المشتركين في المجتمعات الافتراضيّة" (بايوسف، 2011) تبيّن أنّ الانضمام إلى المجتمعات الافتراضيّة يحدث بدافع الحوار وتبادل الآراء، وأنّ الهُويّة الافتراضيّة تمثل عند غالبيّة الشباب انعكاسا لهويّتهم الحقيقيّة، وهو ما يفسّر تصريحاتهم لبياناتهم الحقيقيّة حول الجنس والسن وغير ذلك. ويرى الغالبيّة أنّهم، عن طريق هويّاتهم الافتراضيّة يكونون أكثر تفاعلا ونشاطا ومشاركة وأحسن تصرّفا في المجتمع الافتراضي أكثر منه في المجتمع الواقعي. كما ركزت بعض الدراسات على المخاطر الهوياتيّة الناجمة عن الاستعمال المجحف لوسائل التواصل الحديثة والتداخل الذي تخلقه بين هويّتين؛ افتراضيّة وواقعيّة، حيث تتحول العلاقات الاجتماعيّة الحقيقيّة إلى علاقات افتراضيّة مقنعة، ممّا يؤدّي إلى العزلة وإلى اضطرابات نفسيّة خطيرة خاصة بين فئة الشباب الذين يشكلون الشريحة الأكثر استخدامًا لهذه الوسائل.

الاستنتاجات

حاولت الدراسة الحالية إثارة سؤال تأثير وسائل التواصل الحديثة في التنشئة الاجتماعيّة وإعادة بناء الذّات والهويّة لدى الشباب داخل المجال الافتراضي، وتوصلت إلى جملة من الاستنتاجات أهمّها:

- وسائل التواصل الحديثة من أكثر الوسائل تأثيرا على الشباب حتى أصبحت تحدد أسلوب حياتهم بكل تفاصيلها على صعيد اللغة أو السلوك أو العادات وحتى طريقة تفكيرهم في معالجة القضايا الحياتية؛

- وسائل التّواصل الاجتماعي ظاهرة ثقافيّة وإبداعيّة يُمكن أن تسهل عمليّة التواصل والاتصال والتفاعل الاجتماعي، إلاّ أنّها يُمكن أن تكون سببا في تقليص العلاقات الاجتماعية الحقيقية وذبول الهويّات الحقيقيّة؛ الفرديّة والاجتماعيّة والثقافيّة والدينيّة والوطنيّة في المستقبل لأن الفرد المنخرط في التفاعلات الافتراضيّة -حتي لو كانت جماعيّة- يخرج من عالمه الواقعي إلي عالم افتراضي، ممّا يجعله يتفاعل انطلاقا من كونه فرد فيقدّم في أكثر الأحوال آراءه وأفكاره وتصوراته الشخصيّة متحررا من أيّ تبعيّة دينيّة واجتماعيّة وقيميّة؛

- تجد الأسرة نفسها أمام تحد عميق في مواجهة الآثار الاجتماعية والنفسية الناتجة عن الاستخدام المتسارع لهذه الوسائل؛

- الهويّة الحقيقيّة للأفراد في المجتمع الحقيقي قد تتأثر بالعناصر المعياريّة الاجتماعيّة وكذا بالعناصر الفيزيولوجيّة ممّا يؤدّي إلى كبت الذّات الداخليّة، أمّا العالم الافتراضي فإنه يتيح اتصالا قائما على التعبير عن الذّات الداخليّة وتحقيق الأنا الأعلى، ويتيح أيضا تثبيطا للعناصر المعياريّة للأنا الاجتماعي أو الذات الاجتماعية، وهو ما قد يثري شخصيّة الفرد؛

- المجتمعات الافتراضيّة تفسح المجال للفرد بأن يضع هويّته محلّ استكشاف وتجريب، أي بإمكانه أن يقدّم نفسه كما يشاء وعلى النحو الذي يريده وهو السّلوك الذي قد يتعذر عليه في المجتمع الواقعي، حتى أصبحت العوالم الافتراضيّة بمثابة "ورشات الهويّة" Identity Work يستطيع فيها الفرد اكتشاف إمكاناته وقدراته المختلفة؛

- صيغة المراقبة والهيمنة التّي يتصف بها المجتمع الافتراضي يُمكن أن تخلق نوعا ما سجنا افتراضيّا تباديّا يؤثّر على نفسيّة المستخدمين، وأنّ وعي المستخدم بكونه مراقبا وخاضعا لأحكام الغير من خلال المواد التّي ينشرها يقوده إلى محاولة إرضاء الحشد الافتراضي وكسب إعجابه من خلال اختيار مدروس لما يعرضه من منشورات وفقا لمقتضيات المجتمع الافتراضي الذي ينتمي إليه؛

- أثارت بعض الدراسات مسألة صناعة الذّات ونحت هويّة أو هويّات مزيّفة من خلال استغلال المجال الافتراضي وما يوفرّه من انفتاح منقطع النظير في تطوير الهويّة المُروّج لها لكنّها دعت إلى التشبث بالهويّة الذّاتيّة على أرض الواقع دون تزييف أو تصنّع. وهو رأي يثمّن مبدأ تأكيد الذّات وتماهيها ما بين الواقع الحيّ والافتراضي؛

- إن المجال الافتراضي رغم كونه بنوبتيكا موسعة ومنفتحة، يظل فضاء مغريا للهروب من الواقع، حيث يتيح ممارسات قد تفضي إلى الفصام، أي انفصام الذّات وتأرجحها ما بين واقعها الحقيقي والافتراضي.

خلاصة

بيّنت مراجعة الدراسات السّابقة التّي تناولت ظاهرة التنشئة الاجتماعيّة والهويّة الافتراضيّة وجهات نظر مختلفة وأحيانا متضاربة في تحليل الظاهرة، فمنهم من ذهب إلى أن التواصل عبر الإنترنت يسهّل العلاقات الاجتماعية ويُشجّع على إخراج وإظهار الذّات الداخليّة للفرد لأن نوع العلاقات القائمة فيها يُعبّر عنها أساسا عن طريق الفكر؛ أمّا الجسد فلا يتدخّل في أيّ حال من الأحوال. ومنهم من تخوّف من تأثير الهويّة الافتراضيّة على الهويّة الحقيقيّة للأفراد، ورأى أن العلاقات الاجتماعيّة الافتراضيّة تجمعات خفيّة مجهولة الهويّة يُمكن أن تعزل الفرد وتسبّب له الكثير من المشاكل النفسيّة تمنعه من التكيّف الاجتماعي مع جماعة الانتماء.

هذا يعني أن الدراسات عن التنشئة الاجتماعيّة في العالم الافتراضي، رغم غزارتها ما تزال في بداياتها المبكّرة، وجاءت هذه الدراسة لتفتح المجال أمام المهتمّين بهذا المجال لطرح العديد من القضايا المرتبطة بهذه الظاهرة ذات الطبيعة المتغيّرة والمتلوّنة بالرغبات الفرديّة والاجتماعيّة، وأيضا بالمناخ السياسي والثقافي والاقتصادي. غير أن هذه الدراسات اقتصرت على عينات محددة من الشباب في مناطق جغرافية معينة وسياقات ثقافية محددة، وأجري أغلبها قبل جائحة كورونا التي كان لها الأثر البالغ على الاتجاهات والاستخدامات الرقمية. فقد لا تكون النتائج قابلة للتعميم على جميع الشباب في العالم. لأن التباين الثقافي والجغرافي والظاهرة الصحية العالمية في السنوات القليلة الماضية إضافة إلى تطورات التكنولوجيا الرقمية واستخداماتها قد تجعل بعض الاستنتاجات أقل دقة. كما أن هذه الدّراسات تركز بشكل كبير على التفاعلات الرقمية وسلوك الشباب على الإنترنت، وهي بهذا قد تتجاهل جوانب أخرى من حياة الشباب النفسية، خاصة في إطار الأسرة، والعوامل النفسية تحتاج إلى دراسات عميقة ومكثفة للحالة. ثم إن الاستنتاجات حول الهوية الافتراضية اقتصرت على كيفية اختيار الشباب تقديم أنفسهم عبر الإنترنت، ولم تأخذ بعين الاعتبار كيفية توظيف هذه الهويات في سياقات ثقافية مختلفة. كما أن الأدوات البحثية المستخدمة قد لا تكون كافية لفهم الظاهرة، فاستخدام منهجيات بحثية متعددة (نوعية وكمية) تعتمد الملاحظة والمقابلة وجها لوجه والمقاربة التفاعلية قد تكون مناسبة. إلى جانب أن التركيز أكثر على الجوانب السلبية لاستخدام وسائل التواصل الحديثة في مجتمع الشباب قد يجعلنا نغفل عن الكثير من الفوائد الإيجابية والإمكانات التي توفرها هذه الوسائل، مثل التعليم عن بُعد، الفرص المهنية، والانفتاح والتواصل مع الثقافات المختلفة. لكن هذه الحدود لا تقلل من قيمة الدراسات السابقة بل تجعلنا نفهم النتائج التي توصلت إليها بشكل أفضل خاصة إذا وضعناها في إطارها الزمني والجغرافي والثقافي.

التوصيات

1. تشجيع الدراسات المستقبلية على تحليل ظاهرة التنشئة الاجتماعية والهوية الافتراضية من زوايا متعددة، نظراً لاختلاف وتباين نتائج الدراسات السابقة حول تأثير الإنترنت على الهوية والعلاقات الاجتماعية.
2. توسيع العينات الجغرافية والثقافية في الدراسات المتعلقة بالتنشئة الاجتماعية في العالم الافتراضي، لضمان أن تكون النتائج قابلة للتعميم على نطاق أوسع من الشباب حول العالم، خاصة في ظل تأثيرات جائحة كورونا على الاستخدامات الرقمية.
3. توسيع نطاق البحث ليشمل جوانب أخرى من حياة الشباب، وخاصة الجوانب النفسية والعائلية، وعدم الاقتصار على التفاعلات الرقمية؛ وذلك باستخدام دراسات الحالة العميقة.
4. استخدام منهجيات بحثية متعددة (نوعية وكمية) مثل الملاحظة والمقابلات وجهًا لوجه، والمقاربة التفاعلية، وذلك لفهم الظاهرة بشكل أكثر شمولية وعمقا.
5. التوازن بين الجوانب السلبية والإيجابية لاستخدام وسائل التواصل الحديثة، مع إبراز الفوائد التي توفرها هذه الوسائل، مثل فرص التعلم عن بُعد، والتواصل مع ثقافات متنوعة، والفرص المهنية.
6. إنشاء مراكز ومختبرات بحثية متخصصة تتابع تأثيرات وسائل التواصل الاجتماعي على الشباب، بحيث يتم إجراء دراسات دورية وشاملة باستخدام مناهج متعددة التخصصات في العلوم الاجتماعية لضمان دقة وموضوعية النتائج.

المراجع

الإنترنت أيسر تكلفة وأكثر انتشارا. (2023، نوفمبر 30). في الإتحاد الدولي للاتصالات (ITU)https://www.itu.int/ar/mediacentre/Pages/PR-2022-11-30-Facts-Figures-2022.aspx

بدوي، أحمد زكي (1982). *معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية أنجليزي فرنسي عربي*. مكتبة لبنان. إنترنت أرشيف https://archive.org/details/waq71580/71580

بن باخة، فوزية و عدواس، مروة (2021). *التنشئة الاجتماعية وتأثيرها على التربية الصحية في الوسط التربوي—ابتدائي المقاطعة رقم 05- قالمة نموذجا* [رسالة ماجستير، جامعة 8 ماي 1945 قالمة-http://dspace.univ] guelma.dz/jspui/handle/123456789/11174

بيبيمون، كلثوم. (2016). السياقات الثقافية الموجّهة للهوية الرقمية في ضوء تحديات المجتمع الشبكي من التداول الافتراضي إلى الممارسة الواقعية. *مجلة إضافات*، 33-34، 69-84-https://caus.org.lb/cultural-contexts-orienting-digital-identity/.

بوعزة، سوهيلة فلة. (2013). *تأثير الشّبكات الاجتماعيّة على الممارسات اللغويّة للشباب الجامعي الجزائري في سبوك نموذجا، دراسة حالة على عينة من طلبة علوم الإعلام والاتّصال بجامعة الجزائر*. [رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 3 [http://biblio.univ-alger.dz/jspui/handle/123456789/12780

بوقلقول، هالة&بومعزة، وسام. (2017). استخدامات الشباب الجامعي لتكنولوجيا الاتّصال الحديثة وانعكاساتها على الاتّصال الأسري لدى الشباب دراسة ميدانية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجيجل. رسالة ماجستير، جامعة جيجل http://dspace.univ-jijel.dz:8080/xmlui/handle/123456789/828

درويش، زين العابدين. (1999). *علم النفس الاجتماعي أسسه وتطبيقاته*. دار الفكر العربي للطباعة والنشر: القاهرة.

الدليمي، عبد الرزاق. (2014). استخدامات الشباب الجامعي الأردني لمواقع التواصل الاجتماعي وإشباعاتها. *مجلة علوم الإنسان والمجتمع، 3*(4)، 119–150.

الدلقموني، رماح. (2021، أكتوبر 6). *قد تغير رأيك بشأنها. حقائق وأرقام مثيرة لوسائل التّواصل*. في الجزيرة وسائل-التواصل-الاجتماعي-حقائق-وأرقام https://www.aljazeera.net/tech/2021/10/6/

الصادق، رابح. (2021). *فضاءات رقمية –قراءات في المفاهيم والمقاربات والرهانات*. دار النهضة العربية.

شرماط، عبد السلام. (2023، نوفمبر 20). هوية الذات في العالم الافتراضي. *مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث*. هوية-الذات-في-العالم-الافتراضي-https://www.mominoun.com/articles 8853/

شني، عبد الكريم والعبد الله، مي. (2014). *المعجم في المفاهيم الحديثة للإعلام والاتصال: المشروع العربي لتوحيد المصطلحات*. دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، بيروت لبنان. إنترنت أرشيف2125_20200529_20200529 https://archive.org/details/20200529.

سويسي، كوثر. (2016). التمثلات الاجتماعية: مقاربة لدراسة السّلوك والمواقف والاتجاهات وفهم آليات الهوية. *المجلّة العربية لعلم النفس، المغرب1*(1)، 47–58.

عبد الحميد، جابر و كفافي، علاء الدين. (1995). *معجم علم النفس والطب النفسي: ج7*. دار النهضة: القاهرة.

عبد المعطي، حسن مصطفى و محمد قناوي، هدى. (2001). *علم نفس النموّ*. دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

عبديش، صونية. (2014). *الشبكات الاجتماعية على الأنترنيت دراسة مسحية لمستخدمي الفيسبوك من طلبة جامعات الجزائر*. رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر3 https://dspace.univ-alger.dz/jspui/handle/123456789/13243]

الهاشمي، سلطان بن محمد، امبوسعديّة زيانة، الغافريّة جليلة بنت راشد، السعدية عالية بنت هلال، الكمبوبيّة وضحاء بنت شامس والخزيريّة رية بنت سليمان. (2020). أثر استعمال وسائل التواصل الاجتماعي على تنشئة الطفل في المجتمع العماني [دراسة مقدمة من جمعية الاجتماعيين العمانية إلى وزارة التنمية الاجتماعية-https://portal.mosd.gov.om/webcenter/content/conn/WebCenterSpaces.] ucm/path/Enterprise%20Libraries/MOSDExternalPortal/Publications/socialstudies/29.pdf

حسني، رفعت حسني. (2019، 10 فيفري). المجتمعات الافتراضية وجيل الإنترنت: المفهوم، السمات، الأنواع. *الحوار المتمدن*. http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=651147

جابر، شيماء. (2015، مارس 31). وسائل التواصل الاجتماعي في العالم العربي. أين كانت وكيف أصبحت؟! *تقريرأراجيك*. Arageek. https://www.arageek.com/social-media-reports-in-arab-world-in-2015

رايس علي، ابتسام. (2016). نظرية "الاستخدامات والإشباعات" وتطبيقاتها على العالم الجديد (مدخل نظري). *مجلة دراسات وأبحاث، 8*(25)، 501–513.

علي مؤمن، عبد الوهاب. (2011). *أساليب التنشئة الاجتماعية للطفل الصومالي: دراسة على عينة من الأسر الصومالية بمدينة القاهرة*. رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة.

لولي، حسيبة. (2016). الشباب قراءة في مقارباته وخصائصه. مجلّة المربي، 19، 52–73 . https://www.asjp.cerist.dz/en/article/111994

محمد *يسري أبو هدور. (2018، 20 تشرين). الثورة الرقميّة... ثورة ثقافية؟ الميادين* https://www.almayadeen.net/books/910555

فريق مايو كلينيك. (17 أبريل 2024). *المراهقون ووسائل التّواصل الاجتماعي: ما هو التأثير*؟-https://www.mayoclinic.org/ar/healthy-lifestyle/tween-and-teen-health/in-depth/teens and-social-media-use/art-20474437. Référence bibliographique

Alvarez-Macias, D. L., Villafranca, A., & Villafranca, C. (2023). Identity, migration, and social media: Generation Z in USMCA. *Online Media and Global Communication, 2* (3), 304–328. https://doi.org/10.1515/omgc-2023-0042.

Aly, A., Macdonald, S., Jarvis, L., & Chen, T. M. (2017). Introduction to the Special Issue: Terrorist Online Propaganda and Radicalization. *Studies in Conflict & Terrorism, 40* (1), 1–9. https://doi.org/10.1080/1057610X.2016.1157402.

Alzouma, G. (2020). Changement technologique et sociabilité: Les trois âges des communautés virtuelles africaines. *Tic & société, 14*(1-2), 273–302. https://doi.org/10.4000/ticetsociete.5222.

Antoine, J. (2009). travail social, lien social et Internet. *Empan, 76* (4), 92-99. https://doi.org/10.3917/empa.076.0092.

Aupeix, A. (2010). Le journal intime en ligne, entre espace à soi et lieu d'échange: *Empan, 76* (4), 51–56. https://doi.org/10.3917/empa.076.0051.

Berger, P. & Luckmann, T. (2018). *Postface: Sur la socialisation secondaire* par François de Singly. Dans : P. Berger & T. Luckmann (Dir), La Construction sociale de la réalité (pp. 321-334). Paris: Armand Colin.

Bernard, R. M., Borokhovski, E., Schmid, R. F., Tamim, R. M., & Abrami, P. C. (2014). A meta-analysis of blended learning and technology use in higher education: From the general to the applied. *Journal of Computing in Higher Education, 26* (1), 87–122. https://doi.org/10.1007/s12528-013-9077-3.

Bordes, V. (2013). *Socialisation professionnelle*. Dictionnaire des concepts de la professionnalisation (295-299). De Boeck Supérieur.

Boudon, R. Philippe, B., Charkaoui, M., Lékuyer, B-P., (2001). *Dictionnaire de sociologie*. Club France Loisir: Larousse Bordas.

Brabson, L. A., & Brown McCabe, D. (2012). A Coconstructed World: Adolescent Self-Socialization on the Internet on JSTOR. *Journal of Public Policy & Marketing, 31*(02), 240–253. https://www.jstor.org/stable/41714272.

Breton, P., & Proulx, S. (2012). L'explosion de la communication: Introduction aux théories et aux pratiques de la communication. *La Découverte*. https://doi.org/10.3917/dec.breto.2012.01.

Bunt, Gary R. (2003). *Islam in the Digital Age: E-Jihad, Online Fatwas and Cyber Islamic Environments*. London: Pluto Press.https://www.jstor.org/stable/10.2307/j.ctt18fs6ck.

Chen, P., & Ha, L. (2023). Gen Z's social media use and global communication. *Online Media and Global Communication, 2*(3), 301–303. https://doi.org/10.1515/omgc-2023-2006.

Costa-fernandez, E., Binh, T., & Regnault, E. (2016). *Impact du contexte sur l'usage des Nouvelles Technologies de la Communication (NTC) par les jeunes au Brésil, en France et au Viêt-Nam*. Dans E. Costa-Fernandez & E. Regnault (Éds.), L'interculturel aujourd'hui: Perspectives et enjeux (363-380). Paris, France:L'Harmattan. https://www.researchgate.net/publication/317259027.

Donnachie, K. A. (2015). *Selfies, #me: Glimpses of Authenticity in the Narcissus' Pool of the Networked Amateur Self-Portrait*. Rites of Spring, 50–77. Perth: Black Swan Press. http://hdl.handle.net/20.500.11937/9711.

Erickson, Bonnie. H. (1996). Culture, Class, and Connections. *American Journal of Sociology, 102*(1), 217–251. https://doi.org/10.1086/230912.

García Canclini, N., & Labarthe, S. (2017). Villes et réseaux: Les jeunes changent la donne. *Problèmes d'Amérique latine, 105*(2), 29–42. https://doi.org/10.3917/pal.105.0029.

Gendron, Angela (2007). *Trends in Terrorism Series: Al-Qaeda: Propaganda and Media Strategy*. ITAC Presents Vol. 2007-2. http://www.csis-scrs.gc.ca/en/itac/itacdocs/2007 -2.asp (accessed April 26, 2008).

Grimm, P., O Keber, T., & Zölner, O. (2015). A*nonymität und Transparenz in der digitalen Gesellschaft*. Franz Steiner Verlag. https://www.steiner-verlag.de/Anonymitaet-und-Transparenz-in-der-digitalen-Gesellschaft/9783515112260.

Guez, Gérard. (2011). NTIC – Nouvelles technologies de l'informatique et de la communication. *Revue francophone des Laboratoires, 436*, 95–96.

Havard, J.-F., Wilhelm, C., & Malick Diouf, F. (2023). Un imam "connecté" au Sénégal. Auto-entrepreneuriat religieux et stratégie "agendatique". *Communication et Langage, 205* (3), 35–55. https://doi.org/ 10.3917/comla1.205.0035.

Hoffmann, C. P., Lutz, C., & Meckel, M. (2014). Digital natives or digital immigrants? The impact of user characteristics on online trust. *Routledge, 31*(3), 138–171.

Kemp, S. (2024). *Digital 2024 April Global Statshot Report (We Are Social et Meltwater)*. https://datareportal.com/reports/digital-2024-april-global-statshot.

La Ferle, C., M Edwards, S., & Lee, W.-N. (2000). Teens'Use of Traditional Media and the Internet. *The Journal of Advertising Research, 40*(3), 55-65. https://www.journalofadvertisingresearch.com.

Lardellier, P. (2008). Des souris et des jeunes. Les usages relationnels des technologies d'information et de communication (TIC) par les adolescents. *Archives de Pédiatrie, 15*(5), 802–803. https://doi.org/10.1016/S0929-693X(08)71917-1.

Lee, F. S. L., Vogel, D., & Limayem, M. (2003). Virtual Community Informatics: A Review and Research Agenda. *Journal of Information Technology Theory and Application (JITT), 5*(1), 47-61. https://api.semanticscholar.org/CorpusID:117581697.

Madore, F. (2016). The New Vitality of Salafism in Côte d'Ivoire: Toward a Radicalization of Ivoirian Islam? *Journal of Religion in Africa, 46*(4), 417–452. https://doi.org/10.1163/15700666-12340090.

Madore, Frédérick. (2016b). L'islam ivoirien et burkinabé à l'ère du numérique 2.0. *Journal des anthropologues, 146–147*, 151–178. https://doi.org/10.4000/jda.6525

Madore, Frédérick. (2016c). The New Vitality of Salafism in Côte d'Ivoire: Toward a Radicalization of Ivoirian Islam? *Journal of Religion in Africa, 46*(4), 417–452. https://doi.org/10.1163/15700666-12340090.

Marijana, M., & Eleonora, S. (2014). *Real Self-Concept versus Digital Identity on Facebook. Actes de Conférence: Communication Electronique Cultures et Identités*. Université du Havre. https://www.researchgate.net/publication/322339348.

Mentec, Mickaël L., & Plantard, P. (2014). INEDUC: Pratiques numériques des adolescents et territoires. *Netcom, 28*(3/4), 217–238. https://doi.org/10.4000/netcom.1799.

Mercklé, P. (2016). V. Les réseaux sociaux en ligne: Une révolution? *Repères*, 71–94.

Mercklé, P. (2016). V. *Les réseaux sociaux en ligne : une révolution?* Dans: Pierre Mercklé éd., La sociologie des réseaux sociaux (pp.71-94). Paris: La Découverte. https://www.cairn.info/la-sociologie-des-reseaux-sociaux--9782707188885-page-71.htm.

Mucheilli, A. (2021). Mucchielli, A. (2021). *L'identité*. Presses Universitaires de France. https://www.cairn.info/l-identite--9782715407299.htm.

Neyrand, G. (2015). L'impact conjugal du virtuel Éclatement des façons de faire couple à l'heure d'Internet. *Dialogue, 210*(4), 59–70. https://doi.org/10.3917/dia.210.0059.

Pharabod, A.-S. (2007). La vie quotidienne en solo. *Reseaux, 145146*(6), 249–290. https://www.cairn.info/revue-reseaux1-2007-6-page-249.htm?contenu=resume

Rüdner, Martin. (2016). *"Electronic Jihad": The Internet as al-Qaeda's catalyst for global terror*. In Violent Extremism Online (pp. 8-24). Routledge.

Sica, L. S., Di Palma, T., & Sestito, L. A. (2011, 16). *Virtual Identity: Risk or Resource? A Study about Effects of Using Social Network and Multi-User Virtual Environment (MUVE) on Processes of Identity Construction Of Emerging Adults*. The Future of Education. International Conference ICT for Language Learning, 4th, University of Naples "Federico II" (Italy). https://docplayer.net/20738283-Luigia-simona-sica-tiziana-di-palma-laura-aleni-sestito-tiziana-dipalma-unina-it-university-of-naples-federico-ii-italy-abstract.html.

Siddiqui, S., & Singh, T. (2016). Social Media its Impact with Positive and Negative Aspects. *International Journal of Computer Applications Technology and Research, 271*(5), 71–75. https://doi.org/10.7753/IJCATR0502.1006.

Souissi, K. (2016). *Les représentations des nouvelles technologies chez les enseignants-Etude de terrain réalisé avec l'approche des représentations sociales* (Editions Universitaires Européennes). Hachette.

Strasburger, V., Jordan, A. B., & Donnerstein, E. (2010). Health effects of media on children and adolescents. *Pediatrics, 125*(4), 756-67. https://doi.org/10.1542/peds.2009-2563.

Tangi. (2024, 5 mai). *Quels sont les nouveaux moyens de communication?* Guide Entrepreneur. https://www.guide-entrepreneur.fr/quels-sont-les-nouveaux-moyens-de-communication/

Therrien, D. (2012). *Le phénomène facebook: Usage et gratification*. [Mémoire de maîtrise, Université d'Ottawa]. https://ruor.uottawa.ca/items/c87faca7-7fc8-4c23-a2dc-d41ddd9517af.

Tordo, F. (2019). *Le Moi-Cyborg: Psychanalyse et neurosciences de l'homme connecté*. Dunod. https://doi.org/10.3917/dunod.tordo.2019.01.

Velkovska, J. (2002). L'intimité anonyme dans les conversations électroniques sur les webchats. *Sociologie du travail*, *44*(2), 193–213. https://doi.org/10.4000/sdt.32951.

Vlachopoulou, X., & Missonnier, S. (2015). *Psychologie des écrans*. Presses Universitaires de France. https://doi.org/10.3917/puf.vlach.2015.01.

Welzer-Lang, D. (2010). Du réseau social au réseau sexuel. *Empan*, *76*(4), 72–82. https://doi.org/10.3917/empa.076.0072.

Wiszniewski, D., & Coyne, R. (2002). *Mask and Identity: The Hermeneutics of Self-Construction in the Information Age*. Dans Building Virtual Communities: Learning and Change in Cyberspace (191–214). Cambridge University Press.https://doi.org/10.1017/CBO9780511606373.012

YouGov Facebook. (2020). *Facebook App popularity & fame/YouGov*. https://today.yougov.com/topics/entertainment/explore/mobile_application/Facebook_App